البيان

ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا

مجلة شهرية أدبية . تصدرها رابطة الأدباء الكويتيين - العدد الثامن ١٩٦٦

الثمن ١٠٠ فلس

صفحة رقم :

عادل زعيتر

راهب الترجمة

بقلم: راضي صدوق

قدم العلامة فقيد العلم والحق المرحوم عادل زعيتر ، لامته ، بقلمه البليغ الرصين اروع ما في نفائس الفكر الاوروبي من آثار مونتسكيو وروسو وفولتير ولوبون ولودفيغ وسيدو واناتول فرانس وديرمنغم . فقد نقل الى العربية خلال ثلث قرن ، هو زهرة شبابه ، ستة وثلاثين مجلدا من ذخائر الفكر العالمي دون ان يطمع في مثوبة او جاه .

سيرته :

ولد عادل زعيتر في مدينة نابلس سنة ١٨٩٧ ميلادية واتم فيها دراسته الابتدائية ، وانجز دراسته الاعدادية في بيروت . وحصل الاداب في الكلية السلطانية بالاستانة . وفي سنة ١٩٢٠ التحق بكلية الحقوق في جامعة باريس ، وكان من زملائه هناك السادة عبد الله اليافي ، حبيب ابو شهلا ، محسن البرازي ، عمر الفاخوري ، محيي الدين النصولي ، عبد الله المشنوق ، جعفر الجزائري ، وموفق الالوسي .

وفي سنة ١٩٢٥ نال شهادة الحقوق وعاد الى فلسطين ليصبح محاميا من اقدر محاميها ، ودرس من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٣٦ الفقه الدستوري والدولي والاقتصاد السياسي والمالي وقانون المرافعات المدنية والجزائية في معهد الحقوق في القدس . ويعتبر كثيرون من اعلام المحاماة في الاردن من تلاميذه ، وقد مثل نابلس في جميع المؤتمرات الوطنية . واستقال من التدريس في معهد الحقوق وانقطع الى العلم والادب والسياسة المثالية ، وانكب على اداء اضخم رسالة ثقافية يمكن للانسان ان يقدمها الى امته .

امة في فرد :

ولعل العربية منذ عصر المامون العباسي الى يومنا هذا ، لم تعرف مترجما رفدها بخير ما انتجته قرائح جهابذة الفكر العالمي مثل عادل زعيتر ، فقد رصد باكورة عمره ليقدم اعظم خدمة يمكن ان يؤديها فرد الى امته . بل لقد قام ، بمفرده ، بما تعجز عنه المجامع العلمية ، والحكومات والهيئات الثقافية مجتمعة .

وهذه آثاره المنقولة تنوف على خمسة وثلاثين مجلدا من اوابد الكتب الغربية المخلدة ، لا يمكن لاحد ان يتصدى لترجمتها الا اذا كان وافر الذخيرة من فلسفة وعلم واجتماع وتاريخ ، كل هذه الاثار نقلها في دقة وامانة وباسلوب عربي رصين لا يتاتى الا للمؤثلين في اللغة .

صوفية :

لقد كان عادل زعيتر اول مترجم يعزف عن بهارج الدنيا ، وزخارف الحياة ، ليتفرغ للترجمة على انها مصدر هواينه وحياته وعيشه ، اذ ضحى بمهنته ــ المحاماة ــ ليمارس الترجمة ، كما اضطر ان يبيع ارضا له حتى تكتمل له اسباب الحياة الحرة الكريمة ، قبل ان يموت بأيام .

بعد جهده بالساعات :

وكان رحمه الله ذا مقدرة على الداب والاستغراق في العمل ، بصبر واناة قل ان تجدهما عند انسان ، فكثيرا ما كان يشرع في الترجمة مع شروق الشمس فلا يضع القلم الا والشمس جانحة الى المغيب ، دون أن يتزود بقليل من زاد او بلغة . وهو في ذلك يعد جهده بالساعات والدقائق ، حريص على ان لا تفوته ثانية من الوقت ، دون ان يترجم فيها ولو كلمة واحدة حتى انه ليحدثك بانه قضى الفين وخمسمائة ساعة في ترجمة « نابليون » وقضى ثلاثة الاف ساعة في نقل « حضارات الهند » وانقطع له خمسة اشهر ، كما قضى ستمائة ساعة في نقل « الالهة عطاش » .

فرحتان :

ويحدثنا الاستاذ اكرم زعيتر شقيق العلامة الكبير عن ولع عادل بالترجمة فيقول : ولعادل زعيتر في عامه فرحتان ، اولهما يوم ينجز ترجمة الكتاب ، وثانيهما ساعة الفراغ من طبعه ، وتكون الفرحة الثانية على قدر الاتقان في الطبع والجودة في الورق والنفاسة في الاخراج . وفي كل عام كانت لعادل زعيتر رحلة الى

القاهرة تكون في الشتاء ، يحمل معه حصيلة الجهد السنوي ، وهناك ينكب للاشراف بنفسه على الطبع ، ويصحح التجارب (البروفات) اكثر من مرة ، ويبذل في هذا جهودا مضنية .

لغوي ضليع :

وكان عادل يتقن الفرنسية والتركية ، ويلم بالانجليزية الماما طيبا . اما العربية فهو فيها بحر زاخر يكاد يقف على ادق اسرارها كأي لغوي ضليع ،وكان يحرص على صحة لغته حديثا وكتابة ، يعنى بتشكيل كثير من الكلمات التي يحتمل الالتباس في صحة لفظها ، فكم من فائدة يجنيها قارىء كتبه ، فهو يقول « المتحف » بضم الميم لا بفتحها كما هو مألوف و « المطير » او « المطار » بضم الميم بدلا من « المطار » بفتح الميم . وكلاسي بدلا من « كلاسيكي» و « دبلمي » بدلا من « دبلوماسي » لانه لا يجوز ان تكرر اداة النسبة ، والملاس من الملس .

ويذكر الاستاذ عبد الله المشنوق ان عادل ــ عندما كانا زميلين في جامعة باريس ــ اطلعه ذات يوم على ترجماته لغوستاف لوبون فانتقد المشنوق جملة من جمل كتابه فوافق على ذلك ، وحوالي الساعة الواحدة ليلا والمشنوق يغط في نوم عميق في الفندق ، اذا باب الغرفة يقرع فيهب من نومه مذعورا ، واذا بعادل يطل عليه بابتسامة الظافر ويقول : « انت مخطىء وانا مصيب » . فرد عبد الله معاتبا : « الم يكن بوسعك ان تترك هذا التصويب الى الصباح؟» وبالاضافة الى حرصه على سلامة لغته واتقانها كان يدخل فيها يكتب كلمات غير مألوفة ، تأتيه عفو الخاطر بغية تطعيم اللغة بكلمات نادرة على الا تكون نابية .

دقة وامانة :

وعادل في ترجمته مفرط في الدقة والامانة ، وكان يقول دائما : ان بغيته العليا في الترجمة ، ان يحاكي الاصل الفرنجي متانة اسلوب ، وروعة اداء . كما كان يحرص على ايراد النصوص الاصلية للمقتبسات، مهما كلفه ذلك من جهد ومال .فعندما ترجم كتاب « حضارات الهند »اتصل بالعلامة الهندي المرحوم عبد الرحمن صديقي يستعينه في نطق الاسماء الاردية مثل « بدهة » بدلا من « بوذا » و « هماليه » بدلا من « هيمالايا » و « دهلي » بدلا من « دلهي » .

وعندما ترجم « النيل » حاول عبثا معرفة نص اهزوجة دارجة قديمة كان ابناء النوبة يرددونها لان لودفيغ ترجمها في كتابه ، وكاتب العلامة الاب قنواتي الدومينكاني للتحقق من صحة بعض الاسماء ، واتصل بائمة الاديان وزار الاديرة والكنائس لتحقيق نصوص فقهية ودينية ، وراجع الترجمات العربية لرباعيات الخيام في سبيل نقل ابيات منها ، ثم آثر ان يترجمها هو نثرا ، لان ذلك في رايه ادعى الى الصحة للترجمة الحرفية .

وكثيرون انتقدوه لحرصه على استعمال التراكيب اللغوية الجزلة ، والالفاظ الشامخة الاصلية ، وكان رايه دائما : ان الاديب هو الذي لا ينزل الى القارىء ، بل يحرص على ان يرتفع اليه القارىء .

ينتقم من طه حسين :

وكثيرا ما كان عادل زعيتر يدخل في مساجلات ومناقشات ادبية وعلمية مع ادباء الطليعة مثل طه حسين والدكتور احمد فؤاد الاهواني . فقد صادف ان ظهرت ، في شهر واحد ترجمتان لكتاب « نابليون » للكاتب الالماني اميل لودفيغ ، ترجمة عادل زعيتر ، وترجمة محمود ابراهيم الدسوقي تلميذ الدكتور طه حسين . فكتب طه يفضل الترجمة التي اخرجها تلميذه ويغمز ترجمة عادل زعيتر . وكان الدكتور طه مغرضا في ذلك وكان متجنيا ، وهنا غضب عادل واقسم على الانتقام ... وقد نفذ هذا الانتقام بعد عام واحد ، اذ ترجم كتاب روح التربية لغوستاف لوبون الذي لخصه الدكتور طه حسين قبل ثلث قرن تلخيصا مختصرا لا يكاد يبلغ الربع من الاصل حتى ان الدكتور لوبون نفسه انكره على كتابه .

جحود الشرق :

وعلى ما قدم عادل زعيتر لامته من خدمات عظيمة جليلة الا انه ــ شأن كل مفكر واديب مغلق في الشرق ــ لم يقدر حق قدره . وكان رحمه الله ، يحس بهذا الجحود ، ويفاتح به شقيقه اكرم ، وكثيرا ما كان يردد :

فان تسال الايام ما اسمي ؟ ما درت
واين مكاني ؟ ما عرفن مكانيا

لقد عاش عادل زعيتر غريبا في امته ، ولم تمجده الا بعد وفاته فحق فيه قول الامام محمد عبده : « الاديب في الشرق يموت حيا ويحيا ميتا » .

هل من مترجم :

وبعد ، هذه سيرة رائد من رواد الترجمة الاوائل منذ عرفت العربية الترجمة والنقل . مات وهو يتمنى على الموت ان يمهله سنوات ليهب لامته اكثر مما وهب .فقد كان واضعا نصب عينيه ترجمة عدة كتب الى لغة الضاد من مثل « سير الابطال » لبلوتارخ و « تدهور الغرب » (1) لشبنجلر و « السلطة » تأليف برتران دوجو فنيل و « تاريخ الاندلس »للمستشرق ليفي بروفنسال و « الشهداء » لشاتوبريان و « المحمدية والعبقرية والسامية والعبقرية الارية في الاسلام »للبارون كرادونو .

■■■■

---

(1) هذا الكتاب ترجمه الى العربية مؤخرا الاستاذ احمد الشيباني في ثلاثة اجزاء . (الكاتب)

ايها المحتفلون الكرام ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

يسرني باسم رابطة الادباء الكويتيين ، وباسم الكلمة الحرة في هذا البلد ان نشاركم بمشاعرنا ذكرى الاحتفال بمرور اكثر من تسعين عاما على ميلاد زعيم الهند العظيم (المهاتما غاندي) .

ان غاندي ليس زعيم شعب وحده ولا قائد امة بمفردها ، بل هو زعيم انساني كبير نجد في شخصه معنى الحريّة والكرامة الانسانية التي عاش من اجلها وقتل في سبيلها .

ايها المحتفلون الكرام ،

ان المهاتما غاندي الذي اعطى للانسانية المستضعفة مثلا من نفسه في استرداد حقوقها المسلوبة . فكان خير قائد لاعظم ثورة قامت في القرن العشرين فالهم شعوب الارض معنى الحرية والثورة على الظلم ، فتحررت الشعوب ونالت حرياتها بفضل اعماله العظيمة ومآثره الجليلة ، فله من كل حر ثائر وشهيد بطل كل تحية وتقدير .

وختاما لا يسعني الا ان اشكر الجالية الهندية التي اتاحت لنا المشاركة والمساهمة في هذا الاحتفال العظيم الذي هو تعبير عن تعاطف الشعوب وتبادل القلوب في معنى الحرية والكرامة والنبل .

ويسرني ان القي على مسامعكم هذه القصيدة تحية لهذا البطل العظيم : ــ



عبد الله سنان

« القيت هذه القصيدة في الحفلة التي اقامتها الجالية الهندية بمناسبة عيد ميلاد المهاتما غاندي ، وقد شاركت بها رابطة الادباء الكويتيين وذلك في ٢ ـــ ١٠ ـــ ١٩٦٦ »

اذهبت روحك في البلاد شعاعا
ومشيت في الجمع الغفير مطاعا
دوى نداؤك في المدائن والقرى
فتقاطرت تلك الجموع سراعا
ان سرت ساروا او وقفت توقفوا
او قلت اصغوا نحوك الاسماعا
او صمت صام القطر قاطبة وان
افطرت افطر وازدرى الاوضاعا
ما اوصدوا بابا بوجه موارب
الا وكنت لبابهم مصراعا
اقسمت انك للبلاد محرر
ولسوف تبقى ما حييت دفاعا
ولقد رايتك في المسيرة رافعا
يدك النحيلة تنذر الاقطاعا
ودعوت شعبك ان يكون مثابرا
ويقاطع المستعمر الخداعا
قلت اصبروا متجلدين بها على
شظف المعيشة واركلوا الاطماعا
ولكم صرخت باوجه المستعمر
ين : ان اخرجوا ، لسنا لكم اتباعا
ووقفت للدخلاء وقفة حازم
حتى تركت عصيهم منصاعا

★ ★ ★

كانت بلادك درة في تاجهم
فنزعتها من هامه فتداعى
وانت بعيد جلاءهم من ارضكم
مصر الحبيبة والعراق تباعا
شالت نعامتهم وقد حملوا على
اكتافهم قارورة ومتاعا

★ ★ ★

والله لم تلد الحرائر يومها
حرا كـ (غاندي) للجهاد شجاعا
نادى فاقلق (تشرشلا) في لندن
ودعا فعم دعاؤه الاصقاعا
واقض مضجع كل غربي فما
يلقاه الا خائفا مرتاعا
حتى استرد كرامة مهدورة
وشفى القلوب واذهب الاوجاعا
واعاد للانسان انسانية
هدرت وحقا للبلاد مضاعا

★ ★ ★

يا ايها الرجل العظيم وصاحب
القلب الكبير اضاتها اشعاعا
لك في القلوب محبة الانسان للا
نسان لما تبرح الاضلاعا
ذكراك خالدة على طول المدى
بين العوالم ترفض الاقلاعا

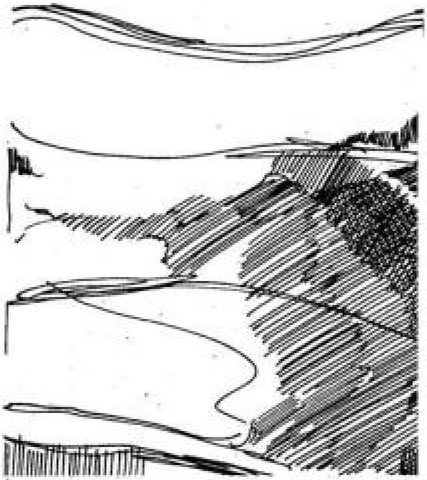


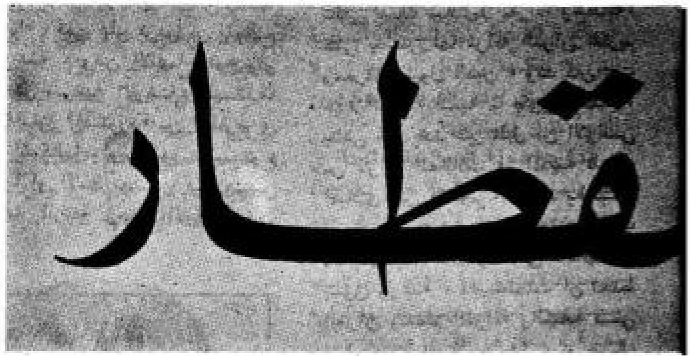
لم يفتها

قصة بقلم

فرحان راشد الفرحان

في ظهيرة ذات صيف ، والنـاس يلتمسون الراحة في منازلهم ، كانت مستلقية على ظهرها تريد ان تغفو لعلها تنعم بقسط من الهدوء والراحة ، غير انها لم تتمكن ، فازاحت بيدهـا الملاءة الخفيفة التي كانت تغطي بها وجهها وفتحـت عينيها في تباطـؤ وكسل ، حيث بدات الافكار المتناثرة واشتات الذكريات البعيدة تتجمع في راسها الصغير ، وقبل ان تلتئم لتبدو صورا متحركة واضحة المعالم تترى صورة اثر صورة ، تمر كالشريـط السينمائي ، راحت تتفحص بعينيها قوائم (الليوان) الستة وكانها لـم تشاهدهم من قبل ، ثم حولت نظراتها وتركتها تستقر على السقف وراحت تحصي خشباته مرة وثانية وثالثة ، وكانها تريد ان تتاكد ان عددها لـم يتغير ، وبعد لحظات ادارتها علـى الجدران واخذت تتفـرس جيـدا ، فوجدت بنظراتها الفاحصة ان الطلاء الجديد الذي طليت به ، والترميمات العادية لم يبعثا فيها حياة الجـدة ولم يعيدا ذلك الرونق الجميل فـي حداثتها يوم كانت تشاهدهـا منـذ اعوام طويلة ، عندما كانت طفلـة صغيرة ذات اعوام تسعة ، يـوم دخلته بعد ان تم البناء فيه .





هنا في هذا الربع ابتلعت طاحونة الزمن انضر الاعوام من عمرهـا ، مرت كما تمر الفصول الاربعة رتيبة في احداث الطبيعة ، ولكن فصول عمرها لم تكن مرتبة كتلك القوانين الازلية ، ولكنها كانت متقلبة حسب مقتضيات الصدف والظروف . هذه الاعوام التي مرت كان فيها ما كان . تاريخ ربع قرن واكثر لحياة عائلة من الناس ، او سجـل من الاحـداث لاعوام خلت ، تخللت سطوره بعض الطرف التي فيها من العبر والذكريات بعض ما فيها ، او انها لوحة كبيـرة رسم القدر فيهـا خطوط سيره واحداثه .

لقد تفرست طويـلا بالخطـوط والنتوء البارزة في كل مكان من الجدار وابتسمت في مرارة ، وسخريـة اذ تخيلت ان تلك النتوء تمد لسانها بين الطلاء الجديد ساخرة تقول : ولو !! ان فعل الزمن خالد مهما امتدت اليه يد الانسان بالتهذيب والتشذيب ، ولن يعيد الترميم والتصليح (مهما بلغا من الدقة) رونق الجدة والحداثة في شيء اكل عليه الزمن وشرب ، وهل يا ترى يعيد الماكياج الى المراة ذات الاربعين نضارة العشرين وحيويتها ؟ تلك المرحلة التي يتدفق فيها الجسم طراوة وانوثة . ذلـك التفتح الكامل لزهرة الشباب بأحلى صوره ومعانيه ، وتنهدت الفتـاة ، وقالت : قديمه تدم هذا الحائط !! وقد كانت تعني نفسها اذ نعتتهـا بالقدم .

وهكذا مر الشريط الكبير امـام عينيها صورا متفرقـة ، وخيـالات مشوشة وغير مشوشة ، ذلك الشريط حياتهـا المليء بشتى الاحـداث ، فسحبت نفسها برفق وهـدوء مـن مكانها وهي تقاوم عبرة تكاد تغص بها ، وآهة تكاد تحرق زوايا صدرها، وما كادت تضع قدمهـا على عتبـة غرفتها لتدخل حتى انفجرت في بكاء مكبوت والقت نفسها كيفما كان ثـم اعتمدت راسها بين يديها متكئة على احد المقاعـد ، وراحت تصـارع انفجارات العوامل النفسية التي اخذت تثور عاصفة صاخبـة بـين حناياها من جراء الكبت الطويـل والحرمان . وفجاة كفكفت دموعهـا بطرف فستانها وشعرت (مدفوعـة بالعزة والكرامة) بجوارحها وهـي تصرخ بها وتهتف : ما هذا ؟ اجننت ؟ انك ما زلت شابة جميلة .. ولكنها لا تصدق ، بل لا تريد ان تصـدق !! انها كبرت ، وانها قديمة تدم حائط المنزل ، وان قطار السعادة قـد فاتها بمراحل ودنت من المراة الصغيرة ثم اخذتها بين يديها وراحت تنظر فيها بكل ذلة واستعطاف ، كانها تتوسل اليها ، فرأت وجها مستديـرا لـم تفارق اديمه الرقة والنعومة ، ومـا زالت ملامح الملاحة آثارها باقية على اكثر تقاطيعه ، ولكنـه كما يبـدو يصارع الخريف بقوة واستماتة ،وما ساءها الا ترهل في جسمها يكـاد يفضحها عندما تحاول ان تطـرح من مجموع سنـوات عمرها بعـض السنـين .

ولدت فتاتنا وفي فمها ملعقة مـن الذهب (كما يقال) . فقد كانت ابنة

اسرة صغيرة موسرة ، مكونة من والدها وعمها واسرتيهما ، يضمهم جميعا منزل واحد ، الى ان وافت العم المنية فانتقلت زوجته مع اطفالها الى اهلها ، اما والدها فلم يطق السكن في ذلك المنزل الذي ما تكاد عيناه تقع على شيء فيه الا وتجتذبه الخواطر نحو اعز انسان لديه اختطفته يد المنون ففرقت ما بينهما فراق الابد ، فما كان منه الا ان ابتنى لنفسه منزلا جديدا اقام فيه مع زوجته وطفلته (فتاتنا) عسى ان يجد في البعد عن منزل الذكريات بعض السلوان .

دخلت الفتاة هذا المنزل وكانت آنذاك في التاسعة من عمرها ، فياضة بالحياة ذكية مرهفة على صغر سنها جميلة رائعة ، اضفى عليها الثراء والدلال اللذان كانت تتقلب في كنفهما كثيرا من المهابة ، فقد كانت تتقمص شخصية المراة الكبيرة ، ذلك على طراوة عودها وصغر حجمها فهي تقلد في كثير من الاحيان حركات والدتها ، وتكرر ذات الاوامر التي تلقيها على الخدم ، وبالرغم من ثرائهم فقد كانت قنوعة ترضى بالقليل من كل شيء ، كما انها كانت عكس اترابها فهي قليلة المطالب غير ملحاحة ، وخلاصة القول ان من يخاطبها يخيل اليه انه امام امراة صغيرة ، وهبها الله ذكاء فطريا نادرا ،ولهذا كله كانتبالنسبة لابويها كل شيء في الحياة . على ان حياتها التي كانت تحياها لم تكن منطلقة في جو من الحرية المعتدلةوانما كانت مكبلة بكثير من قيود التقاليد البالية والتي توارثتها هذه العائلة (بنوع خاص) عن ابائها واجدادها منذ زمن بعيد ، فكانت (تلك التقاليد) بصرامتها ورجعيتها نوعا من الاستعباد للمراة وخنق حريتها وحقها في الحياة ، فهي على قربها من المجتمع بعيدة عنه ، وعن الاندماج فيه ولو على قدر تفرضه الاوضاع السائدة، حتى المدنية المستوردة من الخارج في شتى اشكالها واوضاعها ممنوع تقليدها او الاخذ بها ، فالملابس وادوات الزينة وحتى الافكار يجب ان تكون داخل اطار التقاليد التي نشأ عليها الاباء مهما كانت عريقة في رجعيتها . وفي مثل ذلك المحيط القاتم تربت الفتاة في جو مشحون بالكبت والحرمان ، وقيود تكاد تخنقها دون ان تشعر ، او هي تخنقها فعلا ببطء ، وتحد بل تسلب منها حرية الراي والفكر ، وقد تقبلت الفتاة كل تلك المتناقضات على انها تقاليد يجب ان ترعاها وتسير على هديها ، فنشأت معها هذه العقيدة لتتحول في يوم ما الى عقدة نفسية قاسية .

لم تكن تخرج من منزلها الا في الصباح بحراسة خادمتها الى بيت (ام احمد) القريب من بيتهم ، لكي تتلقى هناك مبادىء القراءة والكتابة، حتى يتسنى لها قراءة القرآن الكريم ومعرفة اصول الدين ، وقد كان بيت هذه السيدة اشبه ما يكون بالكتاب، يتلقى فيه عدد غير قليل من الاوانس من كرائم العائلات في المدينة تلك المبادىء من العلوم ، وقد بالغت الفتاة في جدها واجتهادها وتفتحت مداركها بما استحوذ على نفسها من شوق ورغبة ، فاستطاعت ان تحفظ القرآن وتتعلم القراءة والكتابة في مدى وقت قصير جدا ، ثم قال الوالدان : خلاص ، البركة في هذا وفيه الكفاية ، البنت مكانها المنزل .

وكما اراد الوالد بقيت الفتاة في المنزل بين جدرانه لا تعرف عن الحياة الا اشياء تافهة ، تلتقطها اذناها من هنا وهناك ، من افواه جيراتها ، او من والديها ، او من الخدم ، او تقع عليها عيناها عرضا ، او تدركها باساليب طبيعية اخرى ، وعلى هذا الاسلوب الرتيب كانت براعم شبابها تنمو وتزدهر ، والانوثة الطاغية تنبثق صارخة من كل شيء فيها ، وهي تتربع على عرش الربيع الثاني والعشرين من عمرها السعيد ، وجاء اول خاطب يقرع باب حياتها ليجده موصدا ، اذ لم يرق لوالدها

فاعتذر بأعذار واهية اعتاد بعض الاباء ان يجعلوا منها مقدمة للرفض، لقد كان الشاب الخاطب من عائلة ثرية تضاهي في مركزها الاجتماعي عائلة الرجل ، غير ان الذي احجمه عن الموافقة على هذه الخطوبة هو انطلاق الشاب بعض الشيء حيث علمته اسفاره الكثيرة الى مختلف الاقطار التي زارها ، والبيئات التي اختلط بها ، دروسا وتجارب اسفرت عن تحرره من بعض قيود التقاليد التي كانت تشده وتربطه بعجلة الماضي ، وكان الشاب في عنفوانه يميل الى اللهو والعبث ، في حين ان مثل هذه التوافه من اللهو الذي يصدر من شاب منطلق لم تقيده مسؤولية الزواج قد يكون منشأة الفراغ والوحدة او الحرية المطلقة التي لا تنظمها روابط الزواج ، ولا شك ان مثل هذه التوافه سيكون الزمن كفيل باصلاحها .

ودارت عجلة الزمن فاذا الفتاة في عنفوانها ، زهرة يانعة حان قطافها، وجاء خاطب جديد ، وثان وثالث ، ثم كثر الخطاب فلم يكن لاحد منهم نصيب بالاقتران بها ، فقد كان والدها يبحث عن شخص يتمتع بمثالية نادرة ، صورها هو في خياله وجمع لها من المقومات ما يتفق ورغائبه ، وكانت فاتحة الشروط ان يكون صهره من ذوى الحسب والنسب، ولما كانت مطالبه وشروطه الكثيرة يعز توافرها لدى شخص ما الا من كان منزها او بلغ الكمال ، فقد بدأ عدد الخطاب يتضاءل شيئا فشيئا حتى لم يبق احد ، بعد ان اقتنع كل راغب فيها بانه لا طائل يرجى من زواج يحتاج الى كتب في الانساب واثبات الشخصية ، وعلى تلك الشاكلة ارفض طالبي الزواج ، ولم يعد اي شخص يطرق الباب طالبا يدها ، وكانت بدورها تشعر بكل ما كان يدور حولها ،بالرغم من التكتم الشديد الذي كان يبدو من والديها ، وبدأ الالم يعصرها بينما هي لا تستطيع ان تتفوه ببنت شفه ، او تقحم نفسها في مثل هذه الامور ، فقد علمتها التقاليد ان مثل هذه الاشياء ملك خاص لاراء والديها ، ومن العيب على الاوانس ان يتحدثن في امور الزواج او يبدين رأيهن فيه . علمتها التقاليد ان تكبح جماح المارد الجبار في صدرها ، وان تتعلم الطاعة ،وان تترك دفة حياتها ومصير مستقبلها رهن اشارة من والدها ، وهكذا اخذت مرارة الحرمان تشقيها ، وبدأ التفكير يقلقها ويضنيها ، وامام كل ذلك وجدت نفسها وحيدة لاحول لها ولا قوة غير قادرة على عمل شيء يذكر .

بلغت الثلاثين واخذ احساسها بالمرارة يتزايد ، فكلما طبقت ارجاء الفضاء زغاريد الاعراس في حارتها لجأت الى فراشها وراحت تبكي بكاء مرا ، كانت تبكي حظها العاثر ،تبكي زهرة عمرها التي لم تتعهدها يد بالرعي حتى تتفتح اكمامها فتشعر بموضعها من الحياة ، وتؤدي دورها وواجباتها الطبيعية كأي امرأة اخرى،

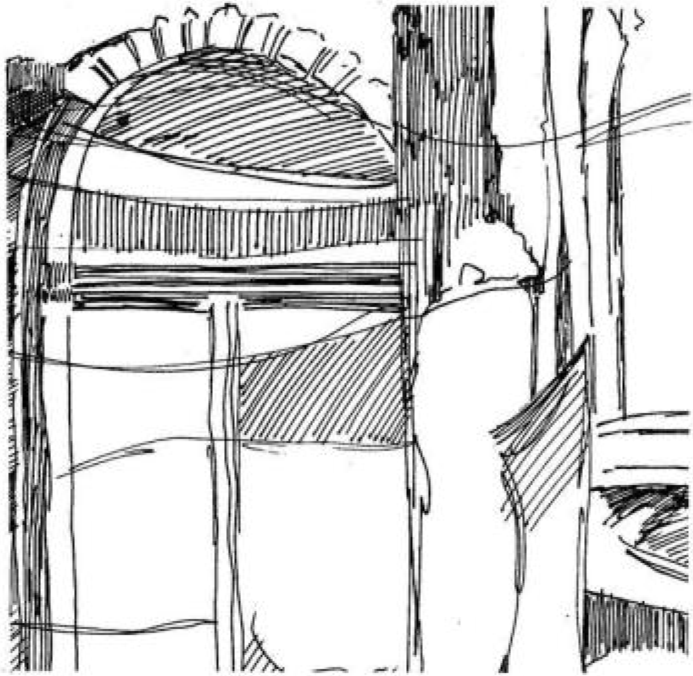


لقد بلغت هذه المرحلة من العمر وهي تترقب اللحظات الحلوة العظيمة في حياتها ، تلك اللحظات التي تتحقق فيها اعذب احلامها وامانيها ،وتحظى بفارسها الجميل الذي طالما توسلت الى الخيال ان يظل اطول وقت ممكن لتعيش معه في اوهامها اللذيذة .

لقد مضى من العمر اجمله واحلاه، وبدأت تشعر بحاجتها الملحة الى ذلك الفارس الذي ستلمس في كنفه سعادة الحياة الزوجية ، ذلك الشريك الذي سيطفيء في اعماقها اوار الحسرة ، وتستريح الى صدره من عناء دروب الاعوام الطويلة الشاقة ، لقد بكت طويلا هذا الوضع الذي آلت اليه ،انها محرومة من اعز ما تتمناه الفتاة في ريعان شبابها .

محرومة من قلب يبادلها الحب ، قلب يتعهد شعورها واحساسها بالنمو قبل التبلد حتى لا يكبتان في قرار سحيق من نفسها ، فتظل انسانة بلا شعور ولا احساس ،كتلة بلهاء ، لقد بدأ شعورها بالرغبة والالم يتفجر ، واخذت تبدو على غير عادتها فقد صيرها الكبت الطويل والحرمان امرأة عصبية المزاج تثور لاتفه الاسباب ، وتنفعل لاقل ما يحدث لها ، والايام تمر وهي تزداد عنفا في انفعالاتها وانهيارا في اعصابها ، وقد لاحظت والدتها عليها ذلك ، فما كادت تسألها في ذات خلوة حتى انهارت في حجرها ودفنت رأسها الصغير في صدرها واسترسلت في بكاء طويل ..

لم تتمالك الفتاة اعصابها ولم تجد متسعا للصبر ، فقد طفح الكيل لديها فصرخت بكل دخيلتها وطوايا نفسها، قالت كل شيء ، وتحطمت الحواجز — حواجز التقاليد — امام ثورة جائحة من الحقيقة الكلية والواقع المر ، قالت : « انكم تجنون علي وتحطمون حياتي ، وتطأون زهرة عمري وتعبثون بمستقبلي وانتم لا تحسون ولا تعلمون !! تريدون لي زوجا صالحا ، وانا على يقين من



رغبتكم الصادقة في السعي وراء سعادتي ، ولكنكم في الواقع تريدون لي زوجا من الملائكة وانا لست من الملائكة ، ما انا الا بشر ككل البشر احب الناس واحب الحياة والانطلاق تريدون لي شخصا منزها عن كل عيب ، وليس في البشر رجلا انتهى الى درجات الكمال .. تريدون ان يكون الزوج كذا وكيت ، وتشترطون ان يكون حسب اهوائكم وهواكم وكأنكم انتم الذين سوف تتزوجونه . وتريدون لي زوجا من اصل وفصل وكأنني سموت الى السماك باصلكم وفصلكم . أو انني من طينة اخرى لا يمتزج بها طين الشر !! وها انتم ترون انني اصبحت عانسا بسببكل هذه الرغبات ، عانسا يا اماه !! انظري الى شارات الاربعين في مقدمها . انها تتطلعني .. ان اصل الرجل خلقه وعمله وكرامته ، وان المراة الذكية الليبية تستطيع انتجعل من زوجها ايا كان مثاليا متى ما اتفقا مشاربا واهواء وامزجة ، انكما تتركاني هكذا اموت موتا بطيئا بالام وحدتي وحرماني ، وانتما لا تعلمان شيئا مما اقاسيه ، ولا تحسان بما احسه ، همكما الوحيد هو الانتظار حتى يجيء ذلك الزوج الذي سيكون حسب رغبتكما لقد انفض الخطاب من حولي ، وها قد مضت اعوام دون ان يتقدم لطلب يدي احد ، لقد عرف الكل ان لا فائدة ترجى .

افاضت الفتاة بكل ما يعتمل في صدرها ، فشعرت بكثير من الارتياح كانما القت عن كاهلها اعباء تلك الاعوام الطويلة التي كانت تنوء بها، فما كان من امها الا ان هدات ثائرتها واخذت بخاطرها ثم وعدتها بان تسعى الى تدارك الخطأ واصلاحه ، والعمل على حل ما تعقد من الامور التي لم يتصوروا انها ستصل يوما الى ما وصلت اليه بسبب اصرارها وتمسكهما في نوع العريس الذي يرغبان فيه .

لقد هدات الام من ثائرة ابنتها ، واخذت بخاطرها ، ولكن ماذا يفيد هذا كله ؟ لقد انصرف الرجال عن الفتاة وهي فيض من الانوثة ، فهل تراهم يقبلون عليها بعد ان بدا الخريف يطوح باخضر ما في فروع عمرها من ازهار واوراق ، حتى اهلها وان نكروا في التنازل عن بعض اصرارهم وتمسكهم بشروطهم ، فلن يتبعوا وسائل واساليب الترغيب فتقاليدهم تأبى ذلك كل الاباء .

اي مجتمع في اي زمان ومكان لا يرحم فتاة يفوتها قطار الزواج ، ولا يجنبها لذعات لسانه ، ان العنوسة التي تجبر عليها بعض الفتيات ، فيبقين منطويات على انفسهن في مساكن آبائهن يقاسين الكبت والحرمان لا شك ان لكل حالة اسبابها ، فليت تلك الالسن الحداد يتحرى اصحابها قبل كل شيء عن الاسباب او البواعث التي ادت بالفتاة الى ذلك المصير بدلا من ان ينظروا اليها بمنظار يعكس الحقائق والوقائع ويعروا اجسادا مصانة بشائعاتهم ، فكم من الناس ممن تحجرت ضمائرهم ، يختلقون اسبابا من عندياتهم بعيدة عن منطق الانسانية ، واقل ما سيقولونه (بايره) او (فيها عيب) والتجني على فتاة بريئة بمثل تلك النعوت امر يؤسف له حقا ، فكم فتاة شاء لها القدر ذلك الوضع القاسي لسوء مدارك اهلها وعدم فهمهم كيفية التصرف بمصير مستقبلها . او لاسباب طبيعية خارجة عن ارادتها.

اعد القدر لوالد الفتاة درسا وعبرة ، فضرب ضربته القاسية وطوح بجميع ما كان يملك ، واذا به يفتح عينيه فلا يرى من ثروته سوى ذلك الاصل والنسب اللذان كان يتبجح بهما ، وادركت الفتاة حينئذ ان اسهمها في الزواج ممن كانت في مستواهم الاجتماعي قد هبطت الى الحضيض . وراحت تجتر الحسرة والالم ، وعاد والدها

يتمنى من كل قلبه ان يتقدم الى طلب يد ابنته زوج مستور الحال ، على ان موضوع الاصل والفصل ما زال يشده بقوة ، وقد فاته ان ابناء الطبقة الكادحة لا يتبجحون باصولهم وانسابهم ، ولكنهم يفاخرون بعصاميتهم ،وبرجولتهم وبما يكسبونه من عرق جباههم ولو كان شحيحا ، حسبهم ذلك هو الشرف الرفيع .

كانت الفتاة في هذه الاونة كسيرة القلب مبلبلة الافكار ، يقضها الالم ويملأ الحزن زوايا نفسها المضطربة، لقد فوت عليها والدها اثمن فرص الحياة ، وحطم بآرائه المتقلبة مستقبلها الزاهر في وقت كانت تطل فيه على غيرها من الناس من برج عاجي ، يوم كان الثراء والجاه العريض هما في مقدمة الاسباب التي حدت بكثير من شباب العائلات المرموقة ان يتهافتوا طالبين يدها ويتصوروا الفوز بها معجزة ، اما الان فقد تبدل الحال بعد ان زالت تخمة النعمة ، وذهب الجاه الى غير رجعة ، واصبحوا في مستوى العامة من الكادحين ، وكانت فرصة للحاقدين الذين رد طلبهم سابقا يتشفون ويشمتون بالرجل الذي امتنع عليهم الزواج من ابنته ،فكانت تلك اتعس ايام حياة الفتاة خصوصا في تلك المرحلة من مراحل عمرها .

على ان الصدف لم تبخل عليها بفرحة خاطفة ، وهي في احلك ايام عمرها عندما قيض الله لها خطيبها من عائلة متوسطة الحال ، فكانت اثمن فرصة يغتنمها الوالد حيث وافق في الحال ، ودامت الخطوبة ستة اشهر كانت من اسعد الشهور في عمر الفتاة لم تسع الدنيا فيهاامانيها، فهي لم تحلم انها ستكون يوما ما زوجة لرجل بعد ان تخطت ربيع العمر الى خريفه ، وما كانت تصدق ان سكنا واحدا سيحتويها مع انسان يشاركها الحياة بعد ان تقضت كل هذه الاعوام ، تقضها الوحدة ويضنيها الحرمان .. ولكن !!

ولكن !! ما آن لهذه الفرحة الخاطفة ان تبقى ، ولم يقدر لها ان تدوم .فقد نسخ الخطيب خطبته، وجاء للرجل من يقول له : ان خطيب ابنته وجد ضالته في فتاة ميسورة الحال ، احبها واحبته وسوف يقترنان قريبا ، وتمتم المتحدثبصوت خفيض بين طياته مرارة الالم (لقد كفر الناس بالنعم واعمتهم الاطماع حتى في شركة الحياة ، كأنما الفقر وصمة عار في المجتمع) لقد اخذت هذه الكلمات طريقها الى اذن الاب فكان لها وقعها السيء عليه .

لها الله مظلومة فيما تعاني !! كلما بدات تتفتح مغاليق الحياة امام عينيها ، صفعها القدر واضلها في مجاهل حياتها الخاوية ، لقد هد هذا النبأ كيانها ، وانهارت على اثره آمالها وامانيها التي كانت تعيش لها وتستمد ساعات الفرحة والنسيان منها ، تلك القصور التي طالما شيدتها في مخيلتها تقوضت على حضيض الحقيقة ركاما ، حجرا اثر حجر ، واصبحت الحياة في نظرها لا تساوي شيئا ، واي شيء لديها تستطيع ان تبثه شكواها يشاطرها كل صغيرة وكبيرة سوى آلامها واحزانها تركن اليها صابرة يائسة في بؤسها .

لقد تفتحت ابواب الخريف لتلجها وهي تحمل على كاهلها هموم الاعوام الطويلة ، كلما خطرت الذكريات في مخيلتها وكلما تذكرت ان قطار السعادة قد فات ، وان حياتها اصبحت تافهة لا معنى لها ، تركت لدموع الحسرة العنان تذرفها بغزارة وتستمد منها بعض الراحة ، فهي تحس انها كلما امعنت بالبكاء خففت من حدة الالم ووطأته على صدرها .

اما والدها فقد ظل في حيرة من امره لا يدري ماذا يعمل ، فعندما داهمته النكبة تقبلها بشيء من رباطة الجاش ولو انها كانت ضربة من القسوة بمكان ، ان صرح العزة والجاه والثراء قد انهار كله بسرعة لم يتوقعها ، والذي كان يحيره بل يقضه ويؤلمه هو عدم معرفته لحرفة من الحرف تؤهله لكسب العيش الكريم بعرق جبينه ، اما الاعمال العادية الشاقة فلن يحتملها جسمه الضعيف الذي اعتاد الترف والليونة، بل وربما وجد غضاضة في القيام بمثل تلك الاعمال خشية السخرية ممن يرونه من معارفه ، ونسي او تناسى ان العمل الشريف مهما كان نوعه وانما وجد شريف يبعث بصاحبه الى الفخر اذ يقيه مهانة التوسل والاستجداء من الغير .

وفي ظهيرة يوم من ايام الصيف الطويلة ، والناس في مساكنهم ينشدون الراحة والهدوء ، خرج الرجل على اثر طارق يطرق الباب، فاذا به امام شاب مفتول العضلات ، قوى البدن ، اسمر اللون ، يدل مظهره على البساطة والسذاجة ، وواضح فيه انه من الطبقة الكادحة ودون اية مقدمات فاجاه بعد السلام بقوله : جئت اطلب يد ابنتك !! وفاه الرجل دون ان يدري بماذا تفوه : موافق دون شرط .. ولكنهاستدرك في صوت يغلبه الحياء فيه رعشة حزن والم : انني ارحب بك صهرا ، ولكن رايها ولا شك هو الاول والاخير، عد الي مساء ابلغكالنتيجة .. ثم افترقا على امل اللقاء ...

لقد حارت الدموع في محاجره ، ما اغرب تصاريف الحياة ، وماعجب امسها ويومها ، بعد ان تكشفت له على حقيقتها شيئا فشيئا ، ان الانسان مهما سمى فيها فهو بالنسبة لها شيئا تافها ، لا قيمة له انه من تراب ومآله الى التراب حسبه ذلك عظة وعبرة .

ووقعت المرآة من يد الفتاة عندما شاهدت والدها منتصبا بقامته على باب غرفتها ، وآثار دموع ما زالت باقية في عينيه وهو يتمتم من الفرح دون وعي او شعور :

« لم يفتك القطار يا فتاتي الحبيبة !! » .

يوسف إدريس
رحْلة إلى القلق

يمكننا ان نقول نتاجا للعرض السابق في الحلقة السابقة ان يوسف ادريس يعاني قلقا فكريا لم ينته بعد، فقد راينا الفنان الذي بدا محور المعالم بل وسار فترة طويلة في اتجاه واحد ، يعود فينظر حوله منبهرا او مدعيا الانبهار (فالموقف ليس اصيلا لديه كيونسكو مثلا) ، لينتج لنا اولا الفرافير ثم لينتج لنا بعد ذلك المهزلة الارضية ، ومجموعة « لغة الاى آى » .. القصصية ، وقد يكون ذلك ، كما قلنا ، ناتجا عن تصوره بان الفن الاشتراكي الذي بدا يكتب على اساسه ضيق الافق .. محدود الفكر ، وهو وهم قد يوقع فيه كثير من الادباء وهم من اطلق عليهم المرحوم الدكتور مندور يوما كتاب « الادب الهاتف » للسخرية بهم ، بل لقد وقع كثير من مفكري الاشتراكية والنقاد في نفس الخطا في بدايات ظهور الاشتراكية واستقرارها وربما كان ذلك ناتجا عن ان الفكرة نفسها لم تكن قد اخذت الوقت الكافي لتنمو في ذهن الادباء نموا صحيا طبيعيا .

فلو اننا حللنا مثلا ما قاله كارك رادك وهو احد النقاد التقليديين سنة ١٩٣٤ — ان تقصي الفن السوفيتي لطرقه الابتكارية الخاصة طويل ، وان كان من الضروري ان يقهر التقاليد الفنية القديمة ويهدمها ، ويكتشف دربا جديدا يفضي الى تصوير حياتنا كما هي ، ولقد كشفنا هذا الدرب فاهتدينا الى طرق الفن السوفيتي وانها لتتناسب والاعمال التي تكفل بها كتابة الفن الثوري .. لا يعني مذهب الواقعية مجرد اعطاء صورة لاضمحلال الراسمالية وذهاب ثقافتها فحسب ، ولكن يعني ايضا صورة لمولد تلك الطبقة او تلك القوة القادرة على خلق مجتمع جديد ومدنية جديدة ولا يعني مذهب الواقعية الاختيار المطلق للظواهر الثورية ، او تجميلها وتنميقها ،ولكنه يعني عرض صورة الواقع كما في كل تعقيد وقائعه وفي كل تضاده وتناقضه كما لا يعني عرض الواقع الراسمالي فحسب ولكن ذلك الواقع الجديد الاخر ايضا واقع الاشتراكية .

« الفن والمجتمع — هربرت اريد ترجمة فتح الباب — عبد الحليم ص ١٩٨)

ولذلك فان هربرت ا ريد يرد على هذه الفكرة السطحية بقوله « في استعمال كلمة الواقع في ذلك الموضع مواربة .. فكلمة الواقع معناها — ان عنت اي شيء على الاطلاق ، كلية الظواهر الطبيعية الواقعة تحت الحواس ، وما دامت هي كذلك فلا يمكن ان توصف بالاشتراكية والراسمالية ، انها الحياة كما هي كائنة .. واذا كان عمل الفنان يعكس صورة تلك الحياة فانه حينئذ اداة خاملة او على اية حال اداة لا غرض لها » .

« نفس المرجع ونفس الصفحة »

ثم يقول ايضا شارحا سطحية هذه الفكرة :

« ولقد بنيت ما احسبه الديالكتيك الصحيح في الفن .. وقلت انه مركب من المتناقضات متناقضات الواقع واللا واقع ، الفعل والخيال . ويبدو ان مذهب الواقعية السوفيتية بصفته مبدأ غافل عن هذه المشكلة الديالكتيكية ، وعليه يصبح الفن في الحقيقة لا عملية ديالكتيكية في ذاته وانما ربما اكتسبته مثالية من نوع خاص » .

ولذلك فقد كان من المستحيل ان

٤

اين يقف الفنان

صلاح الملا

بمر منطق غبي كمنطق السيد رادك دون ان يوقف عند حده حتى لا تتشوه المفاهيم والقيم ، فقال بو خارين في نفس المناسبة بعد تحليل واع لطبيعة التجربة الفنية ان اسلوب التفكير في هذا العالم ليس بعينه اسلوب التفكير المنطقي ، فعملية التعميم هذه لا تتم باخماد الحس ولكن باستبدال مركب واحد من رموز الحس بحملة كبيرة من المركبات الاخرى ، ويصبح هذا البديل الجديد رمزا او صورة او طرازا او وحدة مصبوغة بالصبغة الانفعالية ، ففي ثنايا جلابيبها الاف من العناصر الحسية الاخرى ، وكل وحدة من هذه الوحدات حسية البناء، ولا يكون عندنا فن حتى ننتقي من هذه الوحدات ونثبتها ، وبعبارة اخرى حتى لا نخرج هذه الخبرات اخراجا ابتكاريا بنائيا .

وهنا ايضا يعلق هربرت اريد « كل هذا حق للغاية حتى ان الانسان ليعجب كيف يوفق هذا الناقد بين ادراكه الصحيح بطبيعة الفن والمذهب الرسمي للواقعية الاشتراكية » .

نفس المرجع ص ٢٠٢ :

اذن فالفن لا يتناقض مع الاشتراكية بالمرة .. .. لكنها مقدرة الفنان على الفهم .

وكان لا بد ايضا ومع مرورالوقت ان يتسع مفهوم الواقعيةالاشتراكية ويتطور حتى يمكن ان يحتوي كل ما يمكن ان تطمع فيه الواقعية الاشتراكية في ان ينضوي تحت لوائها ، ولذلك فاننا نجد مفكرا اخر هو ارنست فيشر يكتب عن ضرورة الفن ، محللا المصادر الاولى للفن ، وارتباطه اصلا بالسحر وانه (الفن) يفقد معناه لو فقد الجزء الاخر الذي يربطه بالسحر ، ثم يحلل الرومانسية بمظاهرهاالمختلفة،

وكيف انها نشأت بعد الكلاسيكية كاحتياج فردي متحمس ومتناقض على الدنيا الراسمالية البرجوازية . على دنيا الامال الضائعة على التفاهة والتجهم اللذين تلتزمهما . دنيا الاعمال والارباح ، وقد كانت كل اشكال التعبير الفني بعد ظهور الرومانسية ان هي الا اعتراضات رومانسية في جوهرها مثل مذهب الفن للفن الذي نادى به بودلير .

فقد كان احتجاجا على الموقف النفعي الصارخ والاهتمامات العملية الكثيبة للراسمالية نشا من تصميم الفنان على الا ينتج سلعا ، وذلك

في عالم اصبح كل ما فيه سلعة للبيع .

وكذلك كانت الانطباعية والغربة، واللاانسانية ، والتفتت لكن من اين يستمد الادباء والفنانون الممثلون لهذه الاتجاهات اهميتهم او بمعنى اخر هل هؤلاء الفنانون رجعيون تافهون مثلا ، غير تقدميين كما يقال دائما .

يرد المفكر الشاب اليا فرادكين في مجلة « الادب والفن » العدد الاول — موسكو — ١٩٦١ ، فيقول « وكم كانت تهمة الاغلال القاسية توجه بلا تمييز ولا مبرر مفهوم لمجموعة واسعة متباينة من مظاهر الفن الغربي في تلك السنوات ،فكان الفن والادب في الفترة التالية ١٨٤٨ (بعد سقوط كوميون باريس) وخاصة في القرن العشرين يعتبر منحلا انحلالا كاملا وكذلك استبعدت جميع النظريات التي ظهرت في هذه الفترة ان مسالة الحركات الفنية في القرن العشرين ترتبط بمسالة اكبر من ذلك هي العلاقة المتبادلة بين الواقعية وغيرها من الحركات والمناهج الفنية . لكن ماذا تقول اذن في فنانين لا شك في مقدرتهم كمؤلفي المسرح من الكلاسيك امثال موليير وراسين وغيرهما. ومن الرومانسيين امثال هولدرلين ووالتر سكوت او ما بعد الانطباعيين من امثال فان جوخ وجوجان (كانت هناك طريقة بسيطة للخروج من المازق هي التسليم بقدرة هؤلاء الفنانين . لكن مع التاكيد بانها قدرة تميزوا بها بقدر ما نجد في انتاجهم من عناصر واقعيه ، لكن هل هذا حل صحيح للمسالة .

الم يتضمن كل من الكلاسيكية والرومانسية والانطباعية صدقها الفني الخاص بها ، وذلك جنبا الى جنب مع حدودها الفنيه والتاريخية الخاصه بها .

الم تكن قدرة راسين وعظمته مستمده في نفس الوقت من مكانة وعظمة المثل الاخلاقية والانسانية والكلاسيكية التي تجسدت في تراجيدياته ، الم تكن مكانة هولدرلين وعظمته مرتبطتين بسحر الاحلام الشاعرية للرومانسية الثورية .

والحقيقة فان تفسير كلمة « الصدق الفني الخاص بها » يمكن ان يساعدنا على فهم هذا السؤال : « لماذا لا يمكن ان يرفض كل الفنانين غير الاشتراكيين ، في كتاب آرنست فيشر المسمى « ضرورة الفن »الذي ترجم الى العربية بعض فصوله بعنوان « الاشتراكية والفن » تتبع تاريخي لنشاة المذاهب الاوربيةمثلما سبق ان قال عن الفن للفن الذي نادى به بودلير . كذلك عن الانطباعية التي كانت ايضا حركة ساخطة ضد ما تصف به الفن الاكاديمي الرسمي من ادعاء ، وقد نشر فرانسيس جوردان تحت عنوان « عشرون عاما من الفن العظيم او دروس في الحماقة » مجموعة من اللوحات التي حصلت على الجوائز الرسمية في فرنسا في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، والحق بالكتاب قائمة باسماء الفنانين الفرنسيين الذين عاشوا في نفس الفترة ولم يحصلوا على جوائز ولم تعترف بهم الدوائر الرسمية . وتضم القائمة اسماء ديجاوسيسلي وبيساروا وماتيس وروو ودوفي وسيزان ومونيه وراينوار وروسو وجوجان وتولوز لوتريك وبنار وهؤلاء هم الذين عاش منهم بعد عصرهم في حين ان مجموعة الرسامين الاكاديميين اصحاب الحظوة والرعاية ، ولا تعدو ان تكون اكداسا من الادعاء المتغطرس والرياء والتجهم ، فبينما لوحات تاريخية مقبضة والى جانبها بعض مناظر بهيجة من طراز الجانر تمثل جنودا يرفعون ايديهم بالتحية ببسالة ونساء عاريات يبدو جلدهم ناعما املس كالجيلاتين وبورتويهات مؤدبة تصور ساسة يسيل الاعتزاز بمناصبهم من جميع مسام جلدهم ، ورجال وقورون ملتحمون تلاطفهم عرائس للشعر والادب من فتيات المولان روج ، وحوريات خجولات وقديسون مصلوبون زينوا الاستشهاد في احد صالونات التجميل .

هذا هو الفن الذي كان يفوز بالجوائز الرسمية ، فما الذي اعطى قيمة لكوربيه (احد الانطباعيين الكبار) بينما مات كل من فازوا بالجوائز . يقول سيزان عن كوربيه (انه بناء يستخدم الاحجار ويستخدم المصيص بخشونة . ويسمر وهو قادر على خلط الالوان من ليس في هذا يفوقه : فضربات فرشاته كضربات الكلاسيكيين . انه عميق ورصين ورتيق وله رسوم للعرايا ذوات لون ذهبي كالقمح الناضج ، اني مجنون بنسائه العاريات ان لالوانه نكهة القمح . يا لاولئك الفتيات انهن نفحة منشطة وتسامح واسترخاء لطيف وراحة) .

اذن فلم يكن كوربيه مجرد صنايعي لصناعة البورتريهات لصالونات السادة الكبار ، وانما كان ثائرا على فن ذلك العصر ومن هنا استمد كوربيه اهميته لان « ما يصوره في الفن ليس هو الطبيعة المستقلة عن شخصيته وانما هو المنظر الطبيعي كما يبدو من خلال تجربته الخاصة وليس الفنان مجرد اداة مرتبطة بجهاز حسي يستطيع ادراك العالم الخارجي . بل هو ايضا انسان ينتمي الى عصر معين وطبقة محددة وامة بعينها وله مزاجه الخاص وشخصيته المستقلة ولهذه كلها دورها في تحديد الاسلوب الذي يرى به » .

وهذا هو الصدق الفني الخاص بكل اتجاه فني ظهر.بعد سقوط كوميون باريس . مثل هذا الكلام ينطبق ايضا على كل المذاهب الرومانسية،التي ظهرت بعد ذلك .

اذا كانت هذه المذاهب جميعا

من الفن للفن الى العدمية الى الانطباعية التي التفتت الى الرمزية الى الرادية لها صدقها الفني الخاص وعندما نقراها او نراها نحسها جيدا فلماذا لا نقبلها بكل ما فيها او بمعنى اخر لماذا فشلت في تحقيق التوازن المطلوب ، فشلت الانطباعية مثلا لانها تفكك العالم وتحوله الى صور والوان وتسجله على انه يتجه للادراك الحسي ، ثم اصبحت بشكل متزايد تعبيرا عن علاقة بالغة التعقيد بالغة التداخل بين الذات والموضوع، فالفرد الذي فرضت عليه العزلة والذي تدور افكاره حول ذاته انما يعرف العالم كمجموعة من المؤثرات العصبية والانطباعات والاحوال النفسية المختلفة وكفوضى لامعنية كتجربة خاصة واحاسيس شخصية ان الانطباعية في الرسم تعادل الوضعية في الفلسفة ، فهي بدورها تسمح بالا يكون العالم اكثر من تجربة خاصة واحاسيس شخصية ليس واقعا موضوعيا موجودا بشكل مستقل عن حواس الفرد ، ان عنصر السخط في الانطباعية يجد في اثره عنصرا اخر هو عنصر الفرجة اللا ارادية غير المقاطعة هو موقف المتفرج الذي لا تعنيه غير انطباعاته والذي لا يعتزم تغيير العالم لذي لا تريد بقعة الدم في نظره عن ان تكون بقعة لون (فيشر «الاشتراكية والفن» كتاب الهلال عدد يونية سنة ١٩٦٦) .

وكذلك الامر ايضا مع كل المذاهب الفنية التي لا تتسع رؤيتها لترى رؤيا موضوعية كل الجوانب في القضية لهذا ايضا فشلت فلسفة كالوضعية المنطقية عن ان تجد لها ارضا راسخة تقف عليها (انظر محمود امين العالم : معارك فكرية الفصول الخاصة بالدفاع عن الفلسفة) كتاب الهلال العدد ١٧٧ .

ومن هنا لا بد ان تفشل كل النظرات الرومانسية الفردية الضيقة التي تعجز عن ان ترى كل ما هو لها من ظروف اجتماعية وتاريخية واقتصادية حاكمة ، وهذا هو الفرق بين كاتبين مثل كافكا وبريخت مثلا ، يقول فيشر : « هناك روابط كثيرة تجمع بين اسلوب كافكا وبين طريقة بريخت في تقديم الصراع الاجتماعي في صورة مبسطة على هيئة حكاية دارجة ، ومع ذلك فان لهذين الكاتبين الكبيرين موقفين مختلفين اشد الاختلاف ، فموقف كافكا هو عدم اليقين ، هو يقف الى جانب الضعفاء والمحتقرين وضد المتشبثين بالقوة ، لكنه لا يؤمن بقوة الشعب الذي يدافع عنه على تغيير العالم ، وينشأ في ذهنه وراء كل امل جديد سؤال جديد اما بريخت فلديه الجراة اللازمة لتقديم اجابات ، وحكاياته البسيطة حكايات تعليمية ، وايمانه بان العالم يمكن ان يتغير فيصبح اقرب الى العقل ايمان راسخ ، ولا شك في انه كان يعرف بدوره ان كل جواب يؤدي الى سؤال جديد وانه ليس على وجه الارض شيء نهائي ، لكن هذه المعرفة على خلاف كافكا لم تكن مصدر الم له بل كانت تزيده قوة . ان كافكا الذي كان يعاني من وحدة قاسية لم يكن يؤمن في اعماقه بالتقدم بل يؤمن بان نفس الاشياء سوف تتكرر دائما وباستمرار ، اما بريخت فيؤمن بان الجديد سوف يشق طريقه رغم كل الصعاب (نفس المرجع ص ١٤٨) .

لكن ما الذي وقف بكافكا عند هذا الموقف ان لم يتعداه « ان العالم لمدين بدين كبير لماكس برود الذي انقذ مخطوطات كافكا ، ولكن من الحق ايضا ان يقال ان تفسير برود لكتابات كافكا قد قاد الكثيرين الى الضلال فكافكا لم يكتب عن عذاب الانسان في الكون او في اصل الاشياء بل في وضع اجتماعي محدد ، لقد ابتدع شكلا رائعا من السخرية الخيالية ينسج في الحلم مع الحقيقة ليصور ثورة الفرد الذي يعاني الوحدة ، والذي يكافح بلا امل ضد قوى الظلام المجهولة في عالم غريب عنه ، ويتحرك في نفسه شوق عنيف الى الارتباط بالناس بشكل من الاشكال ، ولو كان ذلك الشكل الملتمس الذي نراه في القلعة ، راى برود في هذه الصور التي تمثل اوضاعا اجتماعية رموزا لاوضاع يزعم انها خالدة . لقد انشا كلا غامضا من مجموعة ضئيلة متفرقة من العناصر المبهمة في انتاج كافكا وقدم الوسيلة الجديدة التي استخدمها كافكا لوصف الحياة في ظل اسرة هابسبرج وهي حياة واقعية وشيطانية معا . على انها نوع من الكهنوتية كما لو كانت تسجيلا لتجاوب واشراقات دينية مكتوبة بشفرة سرية ، وكان من اثر هذا التفسير الخاطىء ان احدث ادب كافكا تاثيرا ضارا شجع الكثيرين من دعاة الفوضى والابهام (نفس المرجع ص ١٤٨) .

واخيرا فقد كان لا بد ان تنتهي مرحلة الاعتراض الفردي (الرومانسية) باشكالها المختلفة التي ربطت مظاهر الفساد والسطحية بالاسباب الموضوعية وهو تطور طبيعي فهكذا كانت البداية في رواية اللورد بيرون « دون جوان » ليكتمل الخط بعد ذلك في ستندال وبلزاك وتوماس مان وتولستوي وجوركي والاخرين ، ومن هنا كان الفن الاشتراكي نتاجا لتطور تاريخي طبيعي وليس معادلا لاي مذهب او دين اخر لاختلاف النشاة التاريخية ، ولذلك فان رجوع يوسف ادريس الى اللا انسانية في المهزلة الارضية والرومانسية الحالمة في ساحب بمصر ، وكذلك ما حدث قبل المهزلة الارضية في الفرافير وما بعدها في مجموعة الاي آي معا يعتبر تضييقا لزاوية الرؤية بعد ان كان قد بدا لمسرحيات مثل جمهورية فرحات واللحظة الحرجة ورواية مثل المستحيل وهو موقف غريب ، على يوسف ادريس ومن اجله يهاجمه النقاد هذه الايام ، ونرجو ان نكون قد قلنا لماذا يهاجم النقاد يوسف ادريس هذه الايام في هذا البحث » .

اقصوصة قروية

بقلم
عيسى الناعوري

منذ ان وضع أول حجر اساس أول بناء في القرية ، واهل القرية يعرفون العين تتدفق بمائها العذب المترقرق ، بل لقد كانت تتدفق بالماء قبل ان يجيء اول انسان ليقيم له في القرية كوخا ، او منزلا صغيرا يأوى اليه . وكانت المياه تجري صافية على الحصى في السيل العريض الطويل ، الماضي بهدوء وتعرجات حلوة نحو الشلال الشاهق عند الطرف الغربي من القرية . وحين تصل المياه الى ما قبل جبين الشلال العريض الواسع كانت تقف عند ظهره لتتجمع في بركة صغيرة يلعب فيها اطفال القرية ويستحمون في مرح وحيوية ، ثم تمضي عريضة ضحلة الى صدر الشلال العريض الرحيب ، ومن هناك تتدحرج من علوها الشاهق ، فتتطاير رذاذا يندى الهواء ، وينهمر عذبا على الاشجار النامية في الصخر ، والمتعربشة على عنق الشلال من قلب المصب السحيق في فم الوادي ، ثم على الاشجار التي تملأ قلب الوادي وجوانبه ، ويسقي البساتين المترامية على جوانب الوادي الى مسافات بعيدة لا تراها العين ، فاذا الخضرة تضحك هناك في سائر الفصول ، واذا الندى ينبت الزهر والعشب والحياة الخضلة في كل موسم ، واذا العصافير والحمائم البرية في اعراس لا تنقطع على طول الوادي الماضي الى الاعماق البعيدة المجهولة .

وكانت العين ثديا غزيرا لا ينقطع دره ، تستقي منه القرية بأسرها : اناسا وبهائم ، وبساتين ، وحقولا مترامية على جوانب السيل الماضي نحو الشلال ، وتمد السيل والشلال والوادي من بعدهما بالسلسبيل المحيي الذي يملأ القرية واراضيها بالخضرة التي لا تموت فيها البسمات .

قبل أن توجد القرية كانت العين تسقي العصافير



لماذا جفت العين؟

والطيور البرية ، وتسقي حيوانات البر ، وتجري في اراض جرداء فتخصبها وتبعث فيها الحياة . وحين وجدت القرية كانت العين درا يمدها بالخصب والحياة والنماء .

وفي القرية ينابيع عديدة ، بين صغيرة وكبيرة ،تجري مياهها في سيول وقنوات صغيرة ، تلتقي كلها في السيل الكبير قبل وصوله الى الشلال ، غير ان القرية كلها كانت تستقي من العين الكبيرة التي تنبع من جحر كبير في الصخر كالمغارة ، ثم تتجمع في حوض واسع تجيء نساء القرية ليغسلن ثيابهن السوداء على جوانبه . ومن الحوض تنطلق المياه بعدئذ منسابة في السيل العريض ، وفي بعض القنوات الاخرى .

كان الماء النابع من المغارة الصخرية صافيا مترقرقا ، لا تستطيع ان تراه وتمتنع عن الشرب منه ، فهو يغريك بالشرب وان لم يكن بك عطش .

كذلك عرف الناس تلك العين السخية : منذ ان اقاموا منازلهم حولها قبل مئات السنين . لم تبخل عليهم يوما ولم تشح ، فهي معهم وهم معها على اتم وفاق .

في الصباح والظهر والمساء تشهد الطرقات المنحدرة الى العين من كل اطراف القرية ، والصاعدة منها الى التلال المتعالية التي تقوم عليها بيوت القرية ، اسرابا من النساء والبنات يردن العين افواجا ، ويصدرن عنها وجرار الماء وصفائحه على رؤوسهن تيجان شامخة في خيلاء . والمراة القروية تزهو اذ تحمل الجرة او الصفيحة على راسها دون ان تسندها بيدها ، فتمضي بتاجها واثقة مختالة تحت عيون الرجال الجالسين على سطوح البيوت المنخفضة ، او في ظلال جدرانها ينظرون الى الغاديات والرائحات ،ويلعبون « المنقلة »، او يتجاذبون الحديث وابصارهم تجوب الافاق البعيدة فلا يصدها حاجز دون ابعد الافاق . والاولاد العابثون يلعبون في البركة الصغيرة على ظهر الشلال ، او يتسابقون على خيول من القصب واغصان الدفلى يقطعونها من الوادي القريب ، او يطاردون الفراشات الجميلة وصراصير « ابو مليح » الخضراء المتطايرة ، ذات الطنين الجميل ، فاذا ما امسكوا بواحد منها ربطوا ساقه بخيط طويل ، وتركوه يطير في ايديهم ويرسل طنينه المحبب اليهم كثيرا .

* * *

كذلك عاشت القرية الصغيرة عمرها الطويل في سلام مع العين ومع الطبيعة : بساتينها وكرومها تعطي الثمر والعناقيد خصبة غنية ، ومواشيها ترعى وتعطي الغذاء الهنيء ، وحقولها تعطي الخير بسخاء . لم يعرف اهلها العطش ولا الجوع ، بل كان الخير من ارضهم يفيض على القرى والمدن المجاورة .

ولكن الثدى العزيز جف فجاة . واستمر الجفاف اياما ، ثم اسابيع ، واهل القرية في حيرة من امر الجفاف المفاجيء . وراحت النسوة يردن الينابيع الصغيرة الاخرى التي لم يردنها قط من قبل . وكاد الماء يجف في السيل والشلال والوادي من بعدهما . وعطشت البساتين والحقول ، وران على الشلال صمت كئيب ، والوادي من تحته اعتراه الوجوم والذبول ، والابتسامة العريضة تحولت الى قطوب في وجه الحقول والبساتين .

لماذا جفت العين ؟

انسان واحد في القرية كان يعرف لماذا جفت العين فجاة .

لقد جفت لان حورية الماء غضبت عليه ، فانتقمت من القرية كلها بسببه ، وكان انتقامها شديدا قاسيا فوق طاقة القرية البريئة الطيبة .

كان « دخل الله » فتى بهي الطلعة ، قوي الجسم، كثير المرح والحيوية . وكان بين فتيان القرية ورجالها

معروفا بدماثة خلقه وشدة بأسه في آن واحد : سهل المعشر طيبه مع الطيبين ، ولكنه خشن شديد على من لا يستحقون حسن المعاملة .

وكان حلم العذارى في القرية ، تتمنى كل واحدة منهن ان يكون هو نصيبها ولكنه من بين بنات القرية اختار (فضية) وحدها . فضية تلك كانت جارته ، ورفيقة العابه منذ الطفولة . لقد كان في الطفولة كثير الخصام معها ، ولكنه كان حين يلعب الاطفال لعبة العريس والعروس لا يختار سواها عروسا ، وحين كبرا ظلت العاب الطفولة تلهب خياله ، وتعيده الى عروس العابه القديمة . وهكذا اختارها لتكون عروسه فعلا . .

كان دخل الله قد خطب فضية منذ شهور ، وقد اخذت العروس تستعد للزفاف القريب الذي لم يبق على تمامه سوى شهرين ، ثم تهجر بيت والدها لتعيش مع دخل الله في بيت واحد ، وتصبح ملكا له بجسدها وروحها ، وبحياتها كلها . لقد اصبحت السعادة قريبة المنال لدى دخل الله وفضية ، فهما يتهيآن لها بكل جوارحهما ، ويترقبان موعدها بشوق ولهفة .

في احد الايام كان دخل الله على ظهر بغلته قبل طلوع الفجر ، في طريقه الى الاحراش البعيدة لجلب الحطب من هناك استعدادا لفصل الشتاء القريب ، كعادة القرويين في كل خريف . ومضى في طريقه الى العين ليسقي دابته ، فما كادت البغلة تمد راسها الى الماء لتشرب حتى اجفلت وكاد دخل الله يسقط عن ظهرها . فالتفت حوله ، واذا عند فم المغارة الصخرية التي يتدفق منها الماء فتاة ذات جمال باهر ، يتدلى شعرها الاسود حول وجه يلمع في العتمة كالقمر المشرق ، وعلى ثغر الفتاة ابتسامة حلوة فاتنة .

فنزل دخل الله عن ظهر البغلة ، وقال دهشا :

— من انت ايتها الفتاة ؟ وماذا تفعلين ههنا في هذه الساعة من الليل ؟

فلم تكف الفتاة الجميلة عن ابتسامتها ، ولكنها لوحت بيدها البيضاء المشرقة تدعوه الى اقتراب منها ، ثم قالت : —

— تعال ! لا تخف مني ! تعال ، اقترب الي !

فتسمرت قدما دخل الله في مكانهما ، وشعر بخوف شديد . ولكن الفتاة عادت تقول له بصوت ملؤه الرقة والنعومة .

لماذا تخاف مني ؟ تعال الي ! انني انتظرك من زمان !

— تنتظرينني من زمان ؟ ولكن من انت ؟ ومن اين اتيت ؟ انني لا اعرفك !

— انا اعرفك ! وكما تحبك فتيات القرية كذلك احبك انا ! انني حورية هذه العين ، احميها واحافظ على تدفقها وصفائها .

— حورية العين ؟ ولكنني لا اعرف ان للعيون حوريات !

— ستعرف الان متى جئت لنعيش معا في صميم الينبوع البعيد ... تعال !

انني اريدك لي وحدي . لقد انتظرتك طويلا !..

— ولكن لي فتاتي التي احبها ، والتي اخترتها من دون بنات القرية . انني احبها وهي تحبني ، وانا راض بها !

— انت لي وحدي من دونها ! لن تكون لفضية ، بل لي انا .

— ولكنني احبها وهي تحبني ، ولا اريد سواها !

— سأعوضك عنها بحناني ودفء حبي !

— اعوذ بالله ! اعوذ بالله ! عفوك يا ربي !

— لا تحاول المستحيل ! لن تكون لسواي ، فتعال الي لنمضي معا الى الاعماق .

— مستحيل ! مستحيل !

— ستندم كثيرا ، وستندم معك القرية بأسرها اذا لم تأت معي !

وفي شدة الخوف والفزع راى دخل الله وجه الحورية يتحول من الابتسامة الدائمة الفاتنة الى العبوس الرهيب . وسمع صوتها يقول غاضبا :

— تعال قبل ان اغضب ، فيحل بك الندم .

ولكن دخل الله لا يدري ماذا حدث له بعدئذ . كل ما يعرفه ان القرية استيقظت في الصباح لتجده عند العين فاقدا وعيه ، والبغلة واقفة الى جانبه ، وقد اخذت العين تجف شيئا فشيئا . ولم تلبث ان جفت نهائيا قبل عصر ذلك النهار .

ولبث دخل الله غائبا عن الوعي ثلاثة ايام ، والقرية كلها في حيرة من امره وأمر العين التي انقطع فيها الماء نجاة ، فأصاب القرية بالظما الشديد .

ولم يشأ دخل الله ان يخبر احدا بأمره بعد ان صحا من غيبوبته . وظل يزداد نحولا يوما عن يوم والحادثة الرهيبة لا تبرح خياله في ليل او نهار .

واشتد الضيق بالقرية من جراء جفاف العين ، وراح الجميع يلحون على دخل الله لمعرفة السر . وظل يتمنع ويكتم اربعة اسابيع كاملة . لا يزيد فيها على ان يقول في هذيان : « الجنية ! حورية الماء ! » .

ولكن العطش الذي أصاب القرية كلها . بناسها ، وحيوانها . وحقولها وبساتينها ، لم يدع لدى دخل الله سبيلا للمقاومة .

وفي صباح احد الايام استيقظت القرية لتجد ماء العين قد عاد يتدفق صافيا مترقرقا كعادته ، ولكن دخل الله لم يكن له في القرية من اثر .

العيون المحترقة

بقلم :

فاروق شوشة

في وهج الشوق اللاهج ماذا تملك عينايا
في صمت اللحظات المخنوقة في الاطراق
أرنو ...
لا تملك كفايا
أن تلمس هذا الوجه الذائب في الاشواق
أهفو ...
توشك أن تفقد بدايا
يوشك أن ينفجر الصمت - وأن يصطخب الاعماق .
يوقفني شيء ساج في عينيك
تكفي أني بين يديك ..
أكتم صوتي .. صوت هوايا ...
ماذا يبقى من هذي اللحظات المختنقة
الا وهج دام ...
يبقى في عيني المحترقة

* * *

الشوق بحار ومدائن
الشوق عيون مسحورة
أطياف تولد كل مساء
وترف ... بقايا اسطورة
شطآن بلاد معمورة ...
الشوق .. قلاع وسفائن
تمخر هذا البحر المائج في قلبي
يحملني ...
ما دامت عيناك جناحي المرهوبين
ينقلني ..
للوعد الصامت في شفتين
يعدني ..
لا ادري كيف وفيم وأين !
الشوق طريق مسحورة
تفتات تماي واعصابي
تشعلني .. تشعل اهدابي
تسلمني ابدا للحظات المختنقة
وهجا ...
في عيني المحترقة !

* * *

أملك أن اختار .. ولكن ماذا اختار !
الشوق الراعش في العينين وفي الشفتين
والعمر الذائب خلف الوهم كطرفة عين
وسواك ! املك أن اختار سواك
كجدار سال منهار ...
يا وجه ربيعي اعصر بالنوار
وحدك لي .. وجه الاقدار
من يملك أن يصنع هذا القدر الموغل في انسان
هذا الايقاع العاصر كالطوفان
هذا العبء بلون الاشواق أو الاحزان
حلوا .. أو مرا .. سيان !
أملك أن اختار .. ولكن ماذا اختار !
صمت اللحظات المختنقة
أبدا .. في عيني المحترقة !

* * *

أرجع كل صباح
كل مساء ..
لا اعرف الا أنك لي
هذا الوجه المانوس الباقي
من احزاني
من نيراني
من كل رمادي ودخاني
أرجع ... لا اذكر مما فات ولا مما سيجيء
الا أنك وحدك لي
قبسا من عيني يضيء
عطرا في كفيه اضيء
وهجا يسعفني .. يشعلني
ملء اللحظات المختنقة
يا نور العالم في قلبي
في قاع عيوني المحترقة !

البـــيزرة في الشـ

ان حب الجوارح ، سواء اكانت بزاة ام صقورا ، عم جميع بلدان العالم في القرون الوسطى ، وتنافس الملوك والامراء في تربية البزاة وتهذيب الشواهين ، ولا زالت بعض البلدان ومنها الكويت والسعودية والعراق تصطاد بالصقر ، وتنتشر في بعض البلاد الاوروبية جمعيات البازدارية وان كانت قليلة الاعضاء .

يدل على اهمية الجوارح في القرون الوسطى ان الامراء كانوا يهدون البزاة والصقور لمن ارادوا جلب السرور الى قلبه والتفريج عن روحه . وقد اخبرتنا كتب التاريخ ان يعقوب بن الليث الصفار صاحب خراسان كان قد اهدى الخليفة المعتمد هدية من جملتها عشرة بزاه ، منها باز ابلق لم ير مثله . ولم يزل اخوه عمرو بن الليث يرسل التحف النفيسة للمعتضد بالله من سنة ٢٨١هـ ـــ ٨٩٤م الى سنة ٢٨٦هـ ـــ ٨٩٩م في كل سنة هدايا جمة منها « عشرين بازا » او « بزاة كثيرة » او « ثلاثين بازا » وكانت مقبولة جدا عند الخليفة ولها « خطر وقيمة » . وقال بعض الذين ارسل بازا في يوم العيد الى الامير محمد بن عبد الله بن طاهر :

ومــع رسـولي اليـك بـاز
ابـرش ذو مخلـب حديـد
جعلتــه تحفــة العيــد
لاقــاك بالطالــع السعيـد

وكانت البزاة من الهدايا الكبيرة القيمة لا بين ملوك العرب فحسب بل بين ملوك الغرب والشرق ايضا . كما قال مؤلف كتاب التحف والهدايا ان برتسانبت الاوتاري ملكة مملكة الفرنج (وهي المملكة برتساون التوسكانا ٨٦٠ ـــ ٩٢٥م) بعثت الى الخليفة المكتفي رسولا معه تحف نادرة من جملتها « خمسون سيفا ، عشرة كلاب كبيرة لا تطيقها السباع . وسبعة بزاة وسبعة صقور .. »

وتليق هذه الطيور بالملوك ؛ لانه يضرب بها المثل في نهاية الشرف :

اذا مـا اعتـز ذو علـم بعلـم
فعلـم الفقيه اولـى باعتـزاز
وكـم طيـب يفـوح ولا كمسـك
وكـم طـير يطير ولا كبـاز

وقال الوعيظي في ذلك :

ليس المقام بـدار الـذل من شيـم
ولا معاشـرة الانـذال مـن همـم
ولا مجاورة الاوبـاش تجمـل بـي
كذلـك البـاز لا ياوى مـع الرخم

حتى انه اصبح من الامثال السارية في الشعر الفارسي ان الباز لا يطير الا بابناء جنسه . وان اراد الشاعر ان يعبر عن الوحدة المطلقة يقول « انه في جو الوحدة يطير البازى مع الحجل او مع الحمامة » اي لم يبق فرق بين الاجناس المتضادة او المخالفة للطبيعة . وقد قيل ايضا ان « البازى في المنام يدل على سلطان لمن هو من اهل الامارة وان ذهب من يده وبقي منه ساقه ذهب ملكه وبقي ذكره . وا نبقي في يده شيء من الريش بقي في يده شيء من المال » . لذلك سمو الامير عبد الرحمن مؤسس الدولة الاموية في الاندلس « صقر قريش » .

ونحن نقرا في اشعار ابي نواس وابن المعتز وغيرهما وضعهم لهذه الجوارح الكبار ، امثال البزاة والصقور والشواهين واليؤيؤ ؛ كما قال ابو نواس :

ليؤيـؤ يعجـب مـن رآه
مـا في الروابـي يـؤيـؤ سواه
ازرق لا تكد به عيناه

ونجمع من تاليفات الجاحظ وعجائب المخلوقات للقزويني وكتاب الحيوان للدميري معلومات كثيرة عن الجوارح ، والف بعد ذلك عدد لا يستهان به من المتخصصين بالصيد رسائل تحتوي على معلومات مفيدة

ـــرق والغرب

بقلم : رياض بولص يعقوب

عن اخلاق الجوارح وما يحمد منها لونا وشكلا . وعلى ما نعلم كان اول كتاب في تربية البزاة والكلاب ترجمة من تأليف يوناني في العصر التاسع وكان المسلمون في ذلك الزمان في حروب مع اهل بيزنس ، وقال لذلك الشيباني الفقيه المشهور المتوفي سنة ٨٠٤م : « ومن وجد من الغزاة في دار الحرب فهذا او بازيا او صقرا غير مملوك لاحد فاخرجه الى دار الاسلام فانه يجعل ذلك في الغنيمة » وقال القزويني ، وقد جمع المعلومات التي عثر عليها عند المصنفين كلهم : « البازى اشد الجوارح تكبرا واضيقها خلقا ، يوجد بارض الترك . لا يكون البازي الا انثى ومن هذا النوع ما خلق الله الذكر ، ذكرها يكون من نوع اخر .. وان كان الغالب على لونه هو البياض فهو احسن البزاة واحلاها جسما واجراها قلبا واسهلها رياضة ، والاشهب لا يوجد الا بارض ارمينية وارض الخزز » . وقد سمى العرب القمح الاسود ، وهو ذو ازهار بيضاء مثل الريش « صدر البازى » . وقال الدميري ، واجتمع على ذلك المؤلفون بأن احسن انواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما . ودون الباز الاشهب الازرق الاحمر العينين والاصفر دونهما . الا ان صاحب المصايد والمطارد يفضل الاحمر الاكثر سوادا الغليظ في خطوط الصدر ، وهذا ما يحمد عادة في الصقور لا في البزاه .

اما اهل البيزرة في الغرب فقد فضلوا الباز الاشهب على جميعها . وقد الف كثير من العرب والعجم كتبا في اوصاف الجوارح حتى انه كان من واجبات كاتب الدولة ان يعلم صفاتها (نقرا ذلك في صبح الاعشى للقلقشندي) . اما الكتاب الاكثر تفصيلا في هذا المضمار فهو « كتاب صنعة الصيد بواسطة الجوارح » الذي الفه الامبراطور الالماني فريدرك الثاني ملك صقليه المتوفي سنة ١٢٥٠ ، وهو من اجل ملوك الغربواكثرهم تماسا بالعرب الذين كانوا قد حكموا جزيرة صقلية مدة طويلة قبل ان يقتحمها اهل الشمال . ونجد في كتابه الضخم الذي كتبه باللاتينية تفصيلات عن تفرعات تربية الجوارح وتهذيبها ، وكثيرا مما ذكر في الكتاب يوافق ملاحظات العرب الا انه لم يكرر الخطأ المشهور بان لا يوجد من البازى الا الاناث ، ولكنه اثبت « ان الصائد الكبير الجثة المعتبر في الصيد في جميع اجناس الجوارح هو الاناث » . وهو يصف ايضا الوان الجوارح واشكالها بدقة متناهية ، ووصفه قريب من وصف المؤلفين العرب للبزاة وسائر الجوارح ، ونجد فيها الصقر خاصة . وقد قال الدميرى ان العرب تسمي كل طير يصيد صقرا ما عدا النسر والعقاب ، يضرى على الغزال والارنب ولا يضرى على الطير لانها تفوته ، وهو اهدى من البازى نفسا واسرع انسا بالناس واكثرها قناعة . ومعناه في الرؤية العز والنصر على الاعداء وبلوغ الامال .

ومن جنس الصقر على ما قالوا السنقر ، وهو اشرف الجوارح . وهو يجلب من الشامي مغاليا في اثمانها ، وكان الواحد منها يباع بالف دينار ، ثم نزل عن تلك المرتبة ، وهذا ما ذكره مؤلف مصري في القرن الخامس عشر .

ومن جنس الصقر ايضا الشاهين الذي كان محمودا في بلاد الهند ، ومنه اليؤيؤ السريع الطيران . قال فيه بعضهم :

ويؤيؤ مهذب رشيق
كان عينيه لدى التحقيق
مدار مخروطان من عقيق

ومنها ايضا الباشق الخفيف المحمل الظريف الشمائل الذي يليق بالملوك ان تخدمه لانه يصيد افخر مما يصيده

البازي . ومنها البيدق ولا يصيد الا العصافير . وهي كلها حادة المزاج واحسنها خلقا تلك التي يقع موطنها في الشمال ، ولا يسهل القبض على هذه الجوارح وتربيتها . وقال احدهم ان من فضائل الباز « ان الصيد فيه طبيعة لانه يؤخذ من وكره فرخا من غير ان يكون قد اصطاد من قبل مع ابويه . فيصيد ابتداء وتريحة من غير تدرية ، بخلاف الصقر فانه اذا اخذ قبل ان يتصيد مع ابويه لم ينجب ولم يصد ، واذا كان قد لحق ابويه وصار معهما ثم عود اكثر مما يوجد عنده في تلك الحال وجرى على ما هو اكبر من الظباء اعتاد ذلك ومهر فيه». وقال الامبراطور فريدرك انه من المفضل ان لا يؤخذ الفرخ من عشه بل ان يقبض على البزاة الكبيرة ، ولو بانواع المصائد ، لانها اكثر فائدة من صغيرها مع صعوبة ذلك .

وقد سلكوا في قديم الزمان طرقا مختلفة للقبض على البزاة والصقور ، وبعد ان ملكوها ابتداوا بتربيتها وتهذيبها ، وهذا من مهمات البازدارية . وعليهم ان يعلموا كل ما يختص بالجوارح التي في حيازتهم كما وصف ذلك ابو بكر الاشعري — مثالا لسائر المؤلفين — في كتابه : مثلا تقديم الطعام للضواري على طبيعة كل شيء منها ، امتحان الضواري ، سياسة الضواري التضرية والاجابة ، احسن البازى اجابه ، ارسال البازى الصغير وتجسيره على الصيد ، تدبير البازى اذا قل حرصه على الصيد ، تجسير البازى على عظام الطير ... تدبير البازى اذا قرنص ، اضمار الطير بعد خروجه ، معرفة صحة الطير ، دلائل امراض الطير .

وقد عدد الامبراطور فريدرك في مقدمة الكتاب الثاني لرسالته المذكورة صفات البازدار وايضا في الباب السابع والاربعين من هذا الكتاب ، وقال ان على البازدار مهمات كثيرة مختلفة الانواع ، فهي ان يهذب جوارحه ادق تهذيب لكي تبقى معه وتفقد خوفها الجبلي من الانسان ، وان يعلمها صيد الطيور التي يختارها هو لا غير ، وهذا لا يسهل لانه ضد ميلها الطبيعي . ولذلك يتطلب من البازدار ان يكون حائزا على كثير من الصفات المحمودة ، ان يكون متوسط القامة لا بطويل ولا بنحيف ولا بسمين ، ذكرا عاقلا ، صبورا غاية الصبر ، ذا ذاكرة قوية يتذكر اخلاق بزاته المختلفة ، بصيرا يرى صقوره ولا يفقدها ، ذا سمع مرهف يدرك اصوات الطيور وصوت الجرس الذي في رجل بازه ، ذا صوت عال تسمعه البزاة من بعيد ، خفيف الحركة ، متيقظا ، جسورا ، يستطيع السباحة ، ولا يؤخذ الشاب لهذه الوظيفة بل الرجل المكتمل لان الشاب قليل الصبر لا يحب الا الصيد الموفق وربما لا يبالي بالنظام المقرر لتهذيب الصقور . ومن صفاته المطلوبة ان يكتفي بالنوم القليل ولا يستسلم للنعاس ، لانه يفتش عن الجوارح في الليل وينهض من نومه قبل السحر ، وهذا ما نقراه ايضا في الاشعار اذ وصف ابن المعتز الصيد :

قد اغتدى او باكرا باسحار

ونحن في جلباب ليل كالقار

ولا يكن البازدار مغرما بالاكل والتهام الاطعمة اللذيذة ، ولا سكيرا مدمنا على الخمر ، لان الخمر تنسيه الاعتناء بالضواري ، ولا صاحب مده ولا غضوبا او كسلانا مهملا في اعماله .

هذا ما طلبه الامبراطور الالماني ببارداريه .

ومن اهم ما نستنتجه من رسالته هو دور العرب في تعليم البزاه وخاصة ادخالهم غشاء الباز . وقد كان اهل الغرب يغلقون عيني الباز المحبوس قبل ان يربوه، ويخيطون اجفانه بابرة وخيط لئلا يرى وجه الانسان ، وبعد ان يتم تهذيب الباز يفتحون له عينيه فيرى كل ما في العالم ، وقد قال الامبراطور في الباب السابع والسبعين من كتابه :

« ان غشاء الباز من مخترعات اهل الشرق وعمل بها اولا — على ما كان معلوما عندنا — العرب . ونحن لما سافرنا عبر البحر راينا استعماله ودرسنا طريقة وضعهم هذا الغشاء على رؤوس البزاه . واما ملوك العرب فلم يكتفوا باهدائهم لنا انواع البزاة فحسب بل ارسلوا معها البزادرة الذين يعتبرون اختصاصيين في استعمال الغشاء . واننا منذ اول عزمنا على كتاب رسالة كاملة في البيزرة ادخلنا — مزيدا على منابع العلم المذكور — ضواري ورجال ماهرين في هذه الصنعة جاء بعضهم من بلاد العرب وبعضهم الاخر من سائرالبلدان، وحصلنا منهم على كل ما عرفوا من علم . ولما كان استعمال الغشاء افضل ما لديهم من مناهج التهذيب قيمة ، ولما شاهدنا فائدته العظيمة في تربية الصقور ، اتخذناه لبزاتنا واستحسناه حتى ان معاصرينا اخذوا منا طريقة استعماله .

ومعنى ذلك ان العرب هم الذين بداوا بهذا المنهاج المفيد الذي حل في القرون الوسطى محل المنهاج القديم ، يعني اغلاق عيني الباز لمدة تدجينه .

ونعلم ان هناك رسالة لابن سيناء في علوم الطبيعة ترجمها مايكل سكوت في زمن الامبراطور فريدرك الثاني ويغلب الظن انه قام بهذه الترجمة بامر الامبراطور . وايضا ترجم دانيال الكريموني رسالة عربية لابن هذا الامبراطور الذي وصفه الشاعر الالماني ريلكه في احد اشعاره ، كيف أملى رسالته في البيزرة وكيف كان يصرف اكثر اوقاته في تهذيب الباز الوحشي الجميل ، حتى ان قلبه كان يطير مع البزاة اذا خرجت للصيد .

وقال ابن منقلي ان اول من صاد بالبازى هو ملك الروم ، وذلك انه راى بازا اذا علا كفف واذا سفل خفق ، واذا اراد ان يسمو ورق ، فتبعه حتى وقع على

شجرة فاعجبته صورته فقال هذا طائر له سلاح يزين به الملوك ، فأمر بجمع عدد من البزاة وجعلها في مجلسه ، فعرض لبعضها طير فوثب عليه فقتله فقال هذا ملك يغضب كما تغضب الملوك .. وقد قالوا ان اول من اصطاد بالشاهين هو قسطنطين ملك الروم . وكانت الشواطين قد ربطت له وعلمت ان تحوم على راسه لتظلله من الشمس وتنحدر مرة وترتفع اخرى ، الى ان ركب يوما فثار طائر من الارض فانقض عليه شاهين فاعجب الملك ذلك فضراه على الصيد . وقد قال ابن عفير كانت ملوك العرب اذا ركبت في مواكبها طيروا الشواهين فوق رؤوسهم ، وكان ذلك عندهم هو الرتبة العظيمة .

ولا شك ان الروم هم اول من الف رسائل في البيزرة واخذ العرب عنها اشياء مهمة . واضاف المؤلف قائلا : واول من اصطاد باليؤيؤ هو بهرام جور الايراني، اي ان الصيد لهذا الطير مخصوص بالايرانيين . واول من ولع بالعقاب هم اهل المغرب . وقيل ان قيصر اهدى كسرى عقابا وكتب اليه علمها فانها تعمل عملا اكثر من الصقور التي اعجبتك .

ونرى من ذلك انه قبل ان يقوم الامبراطور فريدرك بتاليف رسالته في النصف الاول من القرن الثالث عشر ، كان اجداده من الملوك قد اشتغلوا بهذه الصنعة الاصيلة .

وكان شارلمان معاصر هارون الرشيد قد نشر قانونا امر فيه بحماية البيزرة . وكان الملك هنري الرابع (المتوفي سنة ١١٠٦) وكذلك الملك فريدرك بارباروسا (صاحب اللحية الحمراء المتوفي سنة ١١٩٠) اثناء الحروب الصليبية يحبان البزاة والبيزرة . ونجد اسماء فيليب اوجست الملك الفرنسي (المتوفي سنة ١٢٢٣) وهو محالف لفريدرك الثاني وصديق له ، ورات البيزرة رواجا في انكلترا حيث اعتنى بها الملك ادوارد الثالث (المتوفي سنة ١٣٧٧) ، حتى ان راهبة ــ رئيسة دير، اسمها جوليان برنيه الفت رسالة في البيزرة . ولا ننسى ذكر اسم شارل الخامس الامبراطور العظيم (المتوفي سنة ١٥٥٨) في قائمة الذين عملوا بهذه الصنعة .

ونجد الان في المانيا في جوار كثير من المدن الصغيرة محلات صغيرة تدعى « مطعم الضير » وكان الملوك واهل الرئاسة يجتمعون هناك للصيد بالجوارح . وقد نشر طبع الترجمة الالمانية لكتاب « صنعة الصيد بواسطة الجوارح » تاليف فريدرك الثاني في سنة ١٧٥٦ في مدينة انسباخ بامر اميرها المشغوف بالبيزرة . ويروى لنا عن قرية صغيرة في بلاد الفلمنك اسمها « فالكنفرت » اي تل البزاة ، وكانت مركزا للبيزرة في اوروبا مدى قرون طويلة اختص اهلها بالقبض على البزاة وتهذيبها . ولم تزل البيزرة تلعب دورا حتى في عصر الطائرات النفاثة ، فان بعض الطائرات القريبة من البحار والمحيطات تتجمهر فيها اسراب الطيور وخاصة اسراب النورس ، وهي تلحق بالطائرات اضرارا بالغة الخطورة اذا ما اصطدمت فيها بالجو ، وعلى هذا فقد اوصت الحكومة الكندية احد المتخصصين بالبيزرة بتهذيب اربعة بزاه . فرباها وضيرها على اسراب النورس في بعض مطارات كندا ، فاذا اقترب هذا الطائر الجارح من النورس تخاف منه وتهرب ، وقد انصرف الكثير منها عن المطارات بعد ذلك .

اما في الشرق فكانت للبيزرة اهمية اكبر منها في الغرب . فقد بلغت في دور الخليفة العباسي المتوكل نفقات ارزاق المتخصصين في تربية الكلاب والبزاة والفهود خمسمائة الف درهم في السنة . وحكى ماركوبولو السائح البندقي المشهور انه لما جاء لزيارة الخاقان تربلاي سنة ١٢٩٠ راى ما يقرب من عشرة الاف من البازدارية او ما يشبههم ، وكان لكل باز يملكه الخاقان امرا يدون امراؤه لوحة صغيرة فضية في رجله مكتوب عليها اسم صاحبه . وقيل لما سئل اولاد توبلاى خان : اين تجدوا كمال اللذة ، اجابوا : في الصيد وتطيير البزاه .

اما غازان خان خاقان المغول في ايران فكتب المؤرخ رشيد الدين انه اخرج نظاما جديدا لاهل الصيد والبيزرة لانهم قد ازدادوا شقاوة وظلما فقطع نفقاتهم وامرهم بان يرسلوا من الولايات الايرانية الف باز مهذب وثلاثمئة فهد الى مراكز الحكومة .ويدل على حب المغول والاتراك للبيزرة والصقور ايضا اسماؤهم ، فكثيرا ما نجد من سموه باسم طير جارح ، مثلا سنقر ، آمد سنقر (السنقر الاشهب) ، لاجسن ، بلبان ، طغرل وما شابه ذلك . وقد صور احد الرسامين الاميرباي سنقر يحمل الباز وقال فيه الشاعر انه يحمله لكي يصطاد به قلب العالم .

وفي بعض الاشعار نرى الباز كمثال للسطوة ، لذلك يشبه الشاعر نظرة العين القاتلة بالشاهين ، او يصف جذبه الوجد بباز يقبض على الطائر ويحمله الى السماء ، ونجد ايضا التعبير « باز الاجل » الذي يسلب الروح من الانسان ، ومن الطبيعي ان ابن الرومي وصف (باز العشق) الذي قبض على قلبه المجروح وطار به الى اللانهاية .

ان اهل البيزرة الذين قد تعلموا الحلم والصبر وحسن النية عند تهذيبهم الجوارح كانوا كذلك يهذبون قلوب امراء العرب والعجم ، حتى صار حب البيزرة من صميم الروابط بين الشرق والغرب في القرون الوسطى لان كل من اشتغل بهذه الصنعة فهم معنى المصراع المشهور .

وهل ينهض البازي بغير جناح .

من أعلام الشعر النبطي

شاعر الكويت
فهد بن راشد البو

بقلم: عبدالله الخالد الحاتم

ان الحديث عن هذا الشاعر يدفعنا الى الحديث عن فترتين متناقضتين ، قضاهما الشاعر في حياته . الفترة الاولى وهي التي ستنال العناية والقسط الاوفر من حديثنا . اما الفترة الثانية والاخيرة من حياته فلا تستحق الذكر ، فهو فيها اقرب الى الاموات منها الى الاحياء وهي اشبه ما تكون بصورة معكوسة للفترة الاولى .

عاش المترجم له في اول حياته كما يعيش غيره من الشباب في اسرة محافظة كغيرها من الاسر ، وكان والده من رجال البحر الافذاذ ، وهي المهنة التي كانت شائعة في الكويت آنذاك ، ولم يحصل على شيء من العلوم عدا القراءة والكتابة السائدتين في ذلك الحين ، وهو ذكي شديد الاحساس حاد التفكير والطبع خصب القريحة ، ينظم الشعر دون ما كلفة ولا تعقيد ، جيد الشعر ، متين البناء ، عذب الاسلوب ، ناقد عنيف في قالب هزلي ، ويسميه اهل الكويت (بالشاعر الموهوب) حصل على شهرة في الكويت وفي خارجها ، قلما يحصل عليها شاعر معاصر وحصل ايضا على جوائز مالية قيمة من امراء آل سعود والكويت والبحرين وغيرها ، كاد المترجم له ان يبلغ اعلى مرتبة في هذا المجال ، لولا انزلاقه واستسلامه لدواعي الخمرة التي اماتت فيه روح النقد والشاعر الفذ ، وحطمت فيه صرح التفكير حتى اصبح شعره مجوجا لا معنى له اطلاقا واقبل على تعاطي الخمرة اقبال المدمنين ، وسبب له هذا الادمان تدهورا كبيرا في صحته ، وانحرافا في قواه العقلية مما اضطر ذووه الى السعي لدى المسؤولين لاحتجازه في سجن الامراض العقلية مرارا عديدة ، لمنعه من تعاطي الخمرة ولو مؤقتا لايقاف هذا التدهور او ربما يعود اليه تفكيره ، ويحس بالنتائج السيئة ويمتنع عنها نهائيا . ولكن شيئا من هذا لم يحدث بل ازداد تماديا واصرارا حتى قضت عليه .

وللشاعر قصائد كثيرة بمنتهى الروعة ، نظمها وهو في سجونه وكلها شكوى واستعطاف تارة يخاطب نصف اليوسف النصف ، الذي كان يومها مديرا للصحة ، وطورا يخاطب شقيقه حسين البورسلي ، ومرة يستنجد بالشيخ صباح الاحمد الجابر واخرى بالسيد يوسف الاحمد الغانم واحيانا يخاطب بعض اصدقائه من ذوي الكلمة المسموعة . قال من قصيدة :



رسلي

يا نصف انصف بين عاجل ومجنون
ما يجهلك درب السنع والعداله
خليتوا الخلان فيني يشكون
راعي العقل واللي مصلع اهباله
انا قراري عشرة ايام ما يزيدون
واليوم شهر الصوم حروة اهلاله
الشاعر اللي قال وانتم تعرفون
(الرجل بالواجب لسانه اعقاله)
عنيت لك مستصح وابغى العون
شايف جميلك وانت تدى الجماله
واشحاله العاجل الى صار مجنون
لو في مصح (هملين) دور بداله
هل كيف انا ما بين ناس يصولون
اسهر ليالي ومتحمل حماله
وان كان عذر وبي على ما تظنون
بامر الولي كل بصير بحاله
واليوم لا معصوم كامل ومتكون
الا الذي نزلت عليه الرسالة
طالبك في جاه النبي سيد الكون
وبجاه يوسف والدك مع خواله

تنقذ رهين يا بو عثمان مرهون
من عقب ذيج الحال يفكر بحاله
ماني بمرهون ولاني بمديون
او كافل غيري وخنت الكفالة

وقال ايضا والخطاب لاخيه حسين ابو رسلي :

يا حسين دمع العين مثل الهماليل
صبح ومسا مثل السحايب مطرها
والنفس عيه ما تفيد التعاليل
والقلب عناه الكدر من كدرها
ما تجري الدمعه من العين وتسيل
الا وهي تشكي ليالي سهرها
يا قلب لا تخطي على النفس وتعيل
بك ما كفاك وخلها في قهرها
شي صدمني قلت منه التماثيل
من صدمته عيني كراها هجرها
وشحالة العقال بين المهابيل
الله يعين اللي لياله صبرها
لا طارش جاني ولا من مراسيل
على شهرها قام يمضي شهرها

من ضيقـة الخاطـر تهيضـت بالجيـل
دنيـا يسرها مـا يسادي دهرها (١)

وقال من قصيدة مخاطبا يوسف الاحمد الغانم :

شكـى لـي الثـرا جـمي الذايـبـا
وبـل الثـرا دمعـي السـاكبـا
ظلمنـي زمـانـي بليـا دليـل
ولانـي مريـض ولا مذنبـا
لحـا اللـه ظنـي وحسـن الظنـون
انـا مـن ظنونـي جنيـت الوبـا
تعنيـت للصحـة اشكـي نحـول
وظنيت شور المـدير اطيبـا
شكيت الضرر عنـدهم والتجيت
ولا شفـت الانصـاف والواجبـا
سعوا لي بملجـا نهـاره ظـلام
وليلـه مـن المسكـن المرهبـا
محـل بـه المـرء يمسـي شبـاب
تصاهـل من الصبح للمغربـا
يمينـك يسـارك عبيـد وحديـد
تصاهـل مـن الصبـح للمغربـا

ومنهـا : ــ

تذكـرت ربعـي جنـوب وشمـال
ولا شفـت خـل ولا صاحبـا
تذكـرت شخـص ولـي بـه مـلاذ
علـى الطيـب اقرب مـن الحاجبـا
حليـف المكـارم حميـد الخصـال
مـن الحـظ عـن نكبتـي غايبـا
مـلاذي بو عبـد اللـه اثنـي عليـه
حجـا للبعيـد وعلـى الصاحبـا
الـوذ بجنابـك وداخـل عليـك
على العطف معروفـك ماغبـا
نخيتـك ولا لي مـلاذ سواك
تفـك قيودي مـن المسغبـا
ولا غيـر يوسف دراي ورجـاي
فـراق الاهـل كـدر المشربـا

وقال في الشكوى والخطاب للشيخ صبـاح الاحمد الجابر :

يـا الله يـا فكاك عسـرات الانشـاب
يـا مفرج الضيقـات يا مدبر الكون
تفـرج الكـل حـل فيـه التلهـاب
سهران ليلـي والمدامـع يهلـون
خمسة عشر ليلـه منامي بدبـاب (١)
انـا سهير والخلايج ينـامون
واسباب ما بي مـن الخوالي والاغراب
حقي كلـوه وتـالي الحق يشكون
ودشيـت في سجن على البـاب بـواب
يا خالجـي ترحـم مريـض ومسجـون
ويـن الجماعـة والرفاقـه والاصحاب
تغيـروا وش علمهـم مـا يمـرون
ربـع الفراهيـه بـلا عـد واحساب
والضيـج خمسـة عند الالفين يصفون
مـا لي بهـم عن قربهـم خاطـري طاب
يسلـم اهديـب ويسهل الامـر ويهون
والظـن في فكـاك الانشاب مـا خـاب
يا مـا عنيـت وشفت الافراج بالعـون
اللـه يجيره من تصاريـف الاسبـاب
صباح ابو نـاصر دواكـل مطعون
من لاذ بـه من ضيـم الايام مـا هـاب
احكـي على ما شفت والناس يـدرون
قـم يالذيـب اوصـل العلـم بكتـاب
خل هجن واركب من (الدوج) صـالون
شـرج علـى دسمان مدهان الانجـاب
قصـر سما مجـده عـن الـذل والهون
دق (الهـرن) واجف ولا تاصل البـاب
تلقـا الخـدم في ساحتـه يستديـرون
وانشـد عن اللي للتنافيـل حساب
يجيك ابو نـاصر حجا كـل مهون
سلـم عليـه ولا تذيـر وترتـاب
عطـه الكتـاب وبلغـه بكـل مضمـون
قل له فهد قلبه من السجن منصـاب
خطر اهومـه تختر العقـل بجنون
دهـري رماني بـين ظفـر ومخـلاب
ومن حالتـي كـل المـلا يستفيثـون
يـا شيخ شاب الراس مني وانـا شـاب
بطلـت عـن حق ولو كـان مليـون
مـا همنـي دنيـا ولا ديـن طـلاب
الـى سلم شخصـك عساهـم يولـون

وقصائده التي نظمها في سجونـه كثيرة لا مجـال لذكرها في مثل هذه اللمحة وكلها تحكي قصـة فترة كالحة من فترات هذا الزمن التي مرت في حياة هذا الشاعر البائس الذي لم يجد في هذه الحيـاة ما هو جديـر بالاهتمام . فكان يلجأ الى الخمرة ويفزع اليها في معظم اوقاته لا لشيء سوى الهرب من واقع هذه الحيـاة المرير الى عالم الحس والخيال . وما ارحب هـذا العالم واجدره بالبائسيـن .

ولا اجد اصدق دليل على بؤس هذا الشاعروحرمانه حتى من ضروريات الحياة من هذه القصة :

(١) يسـادي : يساوي
(الدباب) المقصود به السجن . .

الحدس

من الوجهة البيولوجية

بقلم : ادولف بورتمان

ليست الكائنات الحية ، بماضيها وحاضرها ، سوى النصوص الاصلية التى يبحث عالم الاحياء عن المعنى الدفين بين طياتها ، حتى اذا تجمعت له كمية لا بأس بها من الحقائق العلمية الموثوق بهـا اصبح من الممكن ان تتبدل ابسط معارفنا عن الحياة بصورة غير منتظرة .

ولعله مما يسترعي اهتمام عالم البيولوجيا المحدث غرابة المنهج الذى فسر به اسلافه في القرون الوسطى شكل الحمامة مثلا ، حيث يقول في هذا الصدد عالم القرون الوسطى الاوربية « هيوج دى سانت فكتور » : « للحمامة جناحان كما للمسيحي طريقان في الحياة ، احدهما ايجابي والاخر تأملي . أما الريش الازرق الذى يكسـو جناحيها فيذكرنا بالافكار السماوية ، ويمثل توزيع الالوان وبريقها في سائر جسدها — الامر الذى يربط اذهاننا بالبحر الهائج — محيطا هائجا من العواطف والانفعالات البشرية التى تنشر الكنيسة فوق اشرعة سفينتها . ولماذا نجد للحمامة عينين يميل لونهما إلى الاصفر الذهبي ؟ لأن اللون الاصفر هو رمز النضوج والخبرة . فمـن خلال ذلك اللون الاصفر الذهبي الموجود في عيني الحمامة تنطق النظرة الحكيمة التى تلقيها الكنيسة على المستقبل . »

وليس مهمتنا في هذا المقال ان نعرض لذلك التطور المهـول الذى طرأ على العلوم الطبيعية منذ العصور الوسطى الاوروبية حتى الآن ، وانما يهمنا ان نعرض ما اسفرت عنه الدراسات الاخيرة القائمة على ملاحظة وتسجيل الحقائق التى لم تلق حتى الان العذر الكافي من اهتمام العلماء المحدثين واعترافهم أو — على ما يبدو لنا — انها لم توضح وتفسر بعد بصورة صحيحة . أى اننا ، بعبارة اخرى ، نحاول هنا ان نكشف النقاب عن الكائن الحى على ضوء آخر البحوث العلمية . نحن نبتهج لمرأى الازهار وان كانت غالبا ما تختلف اجاباتنا على السؤال الباحث عن المعنى أو الفرض الذى من اجله تنبت هذه الأزهار وتتفتح . وهنا تتدخل الدراسات العلمية لترفع من قدر بعض الاحتمالات على البعض الآخر ، مقررة ان وجود هذه الأزهار يخدم حفظ النوع ، واما تفتـح الازهار فينطوى على هدف معين هو اجتذاب حاملات بـذور التلقيح من الحشرات والطيور والخفافيش وغيرها بجمال شكلها وطيبة رائحتها . وطالما اولت كافة مدارس علم الاحياء جـل اهتمامها لاكتشاف مختلف الظواهر التى تدل على وجود هـذا الهدف التلقيحى في الزهور . كما اثبتت التجارب المعملية ان الحشرات الحاملة مبذور التلقيح ترى الالوان وتميز الروائح .

غير اننا لو تأملنا بعض التفرعات الخارجية عن شكل الزهرة ، وهى تلك التى تلعب في التجارب دور البديل بالنسبة للزهرة الجاذبة لحاملات التلقيح ، لتبين لنا انه لا يمكن تفسير جميع جزئيـات الزهرة على انها تخدم حفظ النوع . ونحن في هذه الحالة نقول ان الزهرة تبدو على هذه الهيئة بالذات دون سواها لانها من الفصيلـة (الاورشيدية » او الورود مثلا . هكذا نجد ان هناك معنى تنطوى عليه وظيفة التلقيح لدى الزهرة ، كما ان هناك دلالة اخرى



للزهرة ، هي انتمائها إلى سلالة نباتية معينة . ورغم ان كل من هاتين الدلالتين يتعلق بموضوع واحد هو الزهرة ، الا ان الظواهر التي تتعرض لها كل منهما تختلف عن الظواهر التي تعالجها الأخرى . ذلك ان البحوث العلمية التي تتبع عمليات التلقيح في النبات هي منفصلة بذاتها عن الدراسات التي ترصد الاشكال المميزة لمختلف انواع النباتات . ومازالت هذه الشقة قائمة حتى الآن بين الدلالة الوظيفية البحتة للنبات وتلك الخاصة بهيئته العامة (المورفولوجية) القائمة على اساس قوانين معينة . وقد تعين الان على علم الاحياء ان يضع حـــلا لهذا الانفصـــال بين البحوث المتعلقة بـــالمعنى المورفولوجي (للنبات). ولنأخذ الفراش ، الذي يطوف بالحدائق بالصيف خاصة ويعرف بأسم (أبي دقيق) كمثال جديد للدلالة على المعنى الوظيفي المورفولوجي الذي سبق ان عالجنا على ضـــوئه وجود الازهار . فلدى هذا النوع من الفراش عدد كبير مـــن المميزات التي تجعله يلعب دور القرين في تلقيح النبات ، من بينها انه لا يعمل على حفظ النوع بالنسبة للزهور فقط وانما بالنسبة لذاته ونوعه هو الآخر ، كما انه مزود للنهوض بهذه الوظيفة الاخيرة باعضاء معينة ذات رائحة ودلالة جنسية بالنسبة لفصيلته . وقـــد ثبت من التجارب المختبرية التي اجريت على هذا النوع من الفراش ان الرسومات المزودة بها اجنحته لا تلعب أي دور جوهري في تعارف الجنسين على بعضهما ، بينما يلعب لون ارضية الجناحين دورا رئيسياً في هذا المجال . ونستنتج من هذا الامر ان الرسومات التي تزين اجنحة هذا الفراش لا تحقق له وظيفة تؤدي لحفظ النوع . ونحن لا نجد هنا ما يفسر مثل هذه التفاصيل « اللاوظيفية » الا اذا ارجعناها إلى ان اجنحة هذا « النوع » من الفراش تتميز بصفات معينة من بينها تلك الرسومات التي وجدناها على احدى العينـــات المشار اليها .

من المثالين السابقين يتبين لنا ان شكل كل من الزهرة والفراشة يتعدى المتطلبات اللازمة لحفظ النوع . ولعل هذا هو السبب في ان علم الهيئة او شكل الكائنات وتركيبها المورفولوجيا يحظى باعتراف الاوساط العلمية وان كنا نجد في الوقت ذاته ان البحث العلمي الحديث المتعلق بالكائنات الحية لا يأخذ عملياً بمناهج علم المورفولوجيا ، بينما يستخدم طرقا للبحث تعتمد على علمي وظائف الاعضاء والوراثة . كما نجد ان حفظ الفرد عن طريق عمليتي الهدم والبناء البيولوجيتين في الجسم ، وحفظ النوع عن طريق التناسل قد اصبح في قمة المدرج الهرمي للخواص البيولوجية . اما علم الهيئة التجريبي فغالبا ما يتقبل الاشكال على ما هي عليه ، ويقتصر بعد ذلك على البحث عن العلاقة بين نظام عوامل الوراثة في البذرة ، او النطفة ثم الشكل النهائي الناتج منها او الذي نجم وتكون عنها . وعلى ذلك فان مهمة علم الهيئة التجريبي تنتهي بانتهاء بحث العلاقة بين الاستعداد الوراثي والتطور النهائي للكائن الحي ، وقد يستخدم هذا العلم الشكل الخارجي كمرجع لتحليلاته ، ولكنه لا يسأل عن الهدف من هذا الشكل .

على اننا نود هنا ان نشير إلى انه لا يمكن للعالم البيولوجي ان يوسع من افق فهمه وتفسيره لاشكال الكائنات الحية ان لم يتنازل عن الاعتقاد بأن الهدف الاعلى لسلوك الكائن الحي و كافة العمليات والنشاطات البيولوجية التي تميزه . هو حفظ النوع . هذا عدا عن بعض الاتجاهات الميكانيكية التي سيطرت على مناهج العلم الحديثة فترة طويلة . فاذا كانت الحياة من وجهة نظر علمي الكيمياء والفيزياء لا تعدو ان تكون امتدادا للجماد بعد ان يلغ درجة معينة من التعقد ، فقد كان من الطبيعي ان يرى البعض — قياسا على ذلك — الكائن الحي على انه بديلا للاله . فهل هم على حق فيما ذهبـــوا اليه ؟

حتى نستطيع الاجابة على هذا السؤال يلزمنا ان نعود من جديد إلى مثالية الزهرة والفراشة ، فالدور الذي يلعبه كل من هـــذين الكائنين يذكرنا بأمر لم نلتفت اليه حتى الآن ، الا وهو الربـــاط والعلاقة التي تربط كل منهما بالآخر في عملية التلقيح النباتي . فان هذه العلاقة تجعلنا نفترض ان هذه الفراشة ترى الزهرة وتميز رائحتها وهذا ما يجعلنا نفترض بالتالي نشوء « تجربة » — واعية كانت أم لا واعية — ادت إلى حفز الفراشة لاداء دورها التلقيحي بالنسبـــة للزهرة . ولعلنا نعلم ان كافة الشروط العلية الملموسة والمؤدية إلى حدوث هذه « التجربة » مقررة سلفا — بالوراثة — وذلك عـــن طريق احتواء نطفة الفراشة على تنظيماتها كاعضاء الحس والجهاز العصبي المركزي والغدد الهرمونية ، وهكذا فانه بحدوث هـــذه « التجربة » يتكون لدينا « وجـــود » معين يجمع بين كائنين حيين في وحدة نوعية تعلو على المستوى الفردي ، ادت اليها تجربة احد هذين الكائنين وتكوين كل منهما . ولعله من الجدير بنا هنا ان نضع لحظة تلامس الكائنين المذكورين في مكانهما من ذلك الوجود الذي سبق ان ذكرناه ، والذي نعرفه حق المعرفة من خلال وجودنا الانساني لذلك نحن ندعوه الوجود أو التجربة الذاتية . ونصدق هنا صفة « الذاتية » حتى لو افترضنا ان النظام الذي تحدث هـــذه العلاقة تبعا له التي تتعدى حدود الفرد إلى مميزات النوع ، يسير بطريقة آلية محضة ، فان هذه الالات الصغيرة « مكونـــة مـــن « بلازمات » مجهولة علينا ، تحدث في اطارها « التجربة الذاتية » المشار اليها . ولا زال العلم حتى يومنا هذا معترفا بقصوره عن فهم طريقة عمل هذه البلازمات » . ولعل هذا هو السبب في ان الصناعة الحديثة نادرا ما تمكنت من محاكاة هذه الاجهزة البروتوبلازمية . ومن يريد ان يستوثق من هذا فليتصور شكل الجهاز الالكتروني اللازم تصميمه حتى يقوم بمحاكاة اصلية لعملية ادراك فراشـــة صناعية لزهرة من صنع ايدينا . فنحن لو علمنا ان ذلك القـــدر من الجهاز العصبي الدماغي الذي لا يزيد حجمه عن المليمتر المكعب لدى الفراشة ، يقوم بهذه الوظائف الادراكية والعديد من غيرها ، يتبين لنا مدى دقة وغرابة هذه الالات البلازمية البيو كيميائية .

سبق ان تحدثنا عن التكوينات الوراثية ، وعن السمات الحيوية التي تنجم عنها آثار التجربة الشعورية واللاشعورية . وقد كان هدفنا في هذا المجال ان نوضح بصورة خاصة كيف تتقابل الوظائف البيولوجية والنفسية وتتداخل إلى حد بعيد تزول معه الفواصل والحدود المفتعلة التي اصطنعتها المناهج الفكرية الميكانيكية . ذلك ان تلك التجربة الذاتية التي حدثنا عنها « ديكارت » ، واستبعدتها مناهج العلوم الطبيعية قد عادت لتلتقي مع بحثنا للعلاقة الحية بين



الفراشة والزهرة . وحتى لو امكن استبعاد صفة الذاتية عن الزهرة في مجال هذه العلاقة (رغم ان تقرير صحة ذلك من عدمه يرجع إلى علم النبات) فنحن لا نستطيع ان ننفي هذه الصفة عن الفراشة في علاقتها مع الزهرة . ومن اجل ذلك فنحن نطالب بعودة عنصر التجربة الذاتية إلى العلوم الطبيعية بعد ان طال استبعاده من مجال بحثها . بل يجب ان يوضع هذا المحك الجديد موضع التجربة العلمية المستقصية . ولعل هذه الخطوة التي ولجت معها التجربة الذاتية حقل البحوث البيولوجية ، تعد من اخطر مراحل تطور علم الاحياء واجلها شأناً في النصف الاول من هذا القرن . فهي تتبوأ مكانة رفيعة تقف جنباً إلى جنب مع النتائج الكبرى لعلمي الفسيولوجيا التطورى والوراثة . لست بعد ذلك بحاجة إلى تأكيد ضرورة العناية بوضع البحوث المتعلقة « بذاتية » التجربة لدى الحيوان في مكانها اللائق بها داخل اطار البحوث المكرسة لاكتشاف العالم النفسى الذى يعيش فيه الانسان . اما ان يحظى البحث حول ذاتية التجربة الحيوانية بمكانة بعيدة الاهمية ، اذا ما طرح السؤال عن معنى وجود الحيوان ، فهذا هو ما اريد ان اؤكده بواسطة التعرض لمعالجة هذا الميدان الجديد .

تشير اكثر النظريات العلمية الحديثة انتشاراً الى ان التنظيمات الحسية والعصبية ، فضلا عن الحركية ، تلعب الدور الأول في خدمة الوظيفة العليا للكائن الحي ، الا وهي حفظ النوع . ومهمة تلك الوظائف الحيوانية هي الحصول على الطعام والبحث عن الاشباع الجنسي ، وتجنب الاعداء ، وباختصار اداء كافة الاستجابات للمثيرات البيئية بحيث تخدم هذه الاستجابات في مدلولها الواسع حفظ الذات والنوع وبالتالي ، ويقوم الجهاز العصبي — بناء على هذا — بعمليات غريبة معقدة من الانتقاء والتبديل تشبع في النهاية حاجات الفرد أو تعمل على اشباعها ، على انه يجدر بنا هنا ان نشير الى ان الحاجة التي تتطلبها الاستعدادات الموجودة سلفاً في الكائن الحي لا تفيد اطلاقاً المعنى الغرضي الذي تحدثت عنه النظريات القديمة في هذا الصدد . وانما ينص تعريف قضاء الحاجة هنا الى مجرد الوصف الموضوعي للعلاقة بين تكوين معين في أحد الاشكال الكلية ، وبين وظيفته الممكن تحقيقها .

واني أود ان اعرض فيما يلي لبعض الامثلة المستمدة من الواقع فلعلها تمهد امامنا طريقاً جديداً لفهم الكائنات الحية على نحو مغاير . وساعرض هنا للبديل المغردة من نوع « سيلفيا » التي يعرف منها الفصيلة الفرنسية والانكليزية . وهي عبارة عن طيور بنية داكنة تعرف بالمانيا باسم عصافير « مونش » (الراهب » أو « ذات الرأس الاسود » حيث تاسر الانظار بلونها الاخاذ . ومن الخواص التي يشتهر بها هذا النوع من البلابل انه مغرد ممتاز ، الذي يعيش فيه صوتي الى حد بعيد ، ترفرف على الاصوات والانغام ..

واذا لاحظنا طويلا صغار هذا النوع من البلابل و كبارها امكننا ان نتعرف على خمسة وعشرين نداء مختلفاً لها وثلاثة مقطوعات تغريدية تتفاوت حسب فصيلة البلبل الذي يؤديها . وتصدر اولى الاصوات عن صغار هذه البلابل في اليوم الخامس من تاريخ فقسها .. وسرعان ما يزداد عدد هذه الاصوات بسرعة كبيرة ، بل انها لا تلبث ان تتميز فبعضها مخصص للاستجداء والاخر للاستجابات الصوتية داخل الجماعة ، وثالثة لاعلان الهرب ، ورابعة للتعبير عن الجزع والخوف وخامسة تطلق في حالات التوتر ، وسادسة للتعبير عن الصراع بين الرغبات والنوازع ، وسابعة للتعبير عن الالم — كما تستعمل نفس هذه الاصوات الاخيرة في حالات الجزع الشديد — وثامنة للدفاع عن النفس ضد عدو مغير ، وتاسعة للتهديد بواسطة الصفقيق بالمنقار . والجدير بالملاحظة ان كافة هذه الاصوات مميزة كما انها مرتبطة بمواقف معينة . أما المقطوعات التغريدية الثلاثة فهي تتكون من « اغرودة البكاء » ويؤديها جميع صغار هذه البلابل . ثم تأتي بعد ذلك التغريدة الثانية وهي معروفة باسم اغرودة « بالز » وهي تعبر عن الاشتياق للزواج . والمقطوعة الثالثة وتدعى اغرودة الفصيلة ، وكلا المقطوعتين الاخيرتين يغرد من ذكور هذه البلابل وحدها ..

وقد امكن تجميع اهم معارفنا عن هذه البلابل بواسطة تنشئتها وتربيتها في عزلة تامة عن كافة المؤثرات الصوتية وقصر علاقتها على الاتصال البصري واللمسي بمربيها ، وعلى الاصوات الصادرة عنها دون تعلم واكتساب . وقد امكن عن طريق هذا المنهج ان نقف على حقيقة بالغة في الاهمية الا وهي ان الاستعداد لاداء الاصوات والاغاريد الخاصة بهذا النوع من البلابل موروث . فبعكس ما يحدث اثناء تعلم اللغة لدى الانسان ، نجد ان التنظيمات العصبية المركزية تنمو لدى البلابل حتى تبلغ درجة الاستعداد لاداء وظائفها دون ان يكون لذلك علاقة جوهرية بالمؤثرات الخارجية بعمليات التعلم . وان كان لابد لنا ان نشير في الوقت نفسه الى انه كثيراً ما يحدث ان يتوقف ترديد البلبل لاصوات معينة على سماعه لها من قبل . ويعنينا هنا ان نعرض بشيء من التفصيل لاغرودة النوع التي تصدح بها هذه البلابل، فاثناء الطفولة المبكرة ، أو على وجه التحديد ، بعد اثني عشر يوماً من مغادرة باطن العش تبدأ عملية الاستعداد لاداء التغريده ، حيث لا يلبث البلبل ان يجيد الحانها الاساسية في اليوم الخامس أو السادس عشر . وتستمر هذه التغريدة باعتبارها مقطوعة الطفولة حتى الاسبوع الرابع من عمر البلبل ، حيث لا نجد في هذا المجال اي فارق بين البلبل المنطلق في الفضاء وزميله الذي نشأ في عزلة يقتضيها البحث العلمي ، بل انه احياناً تتم عملية « التدريب » على اداء الاغرودة في صمت تام ، فاذا

ما بدا البلبل في التغريد بعد ان يكون عمره قد صار عشرون يوماً ، ففي هذه الحالة يكون قد مر بمرحلة التدريب الصامت المذكورة . وقد لاحظ المشرف على احدى التجارب التي اجريت في هذا المجال « ان بلبلا ذكرا قد ظل صامتاً حتى اليوم السابع والثلاثين من عمره وفي اليوم الثامن والثلاثين صدح اغرودة الطفولة بكاملها دون ان يكون قد حاول اداءها من قبل البتة » . وتتباين اغرودة الطفولة بين البلابل ، كل حسب نوعه وفصيلته ، وان كانت جميعهـــا تشترك في كونها وراثية تماماً ، هذا على الرغم من انها اغنى الاغاريد بالنغمات ، اذ يؤديها البلبل بصوت خفيض غير متقطع ، حينما يجلس آمناً وسط عشه دون أي مزعجات . ويكون البلبل الطفل في الحالة مرتخياً تماماً فيسدل جناحيه بارتخاء الى جواره ، بينما يهبط الريش على جميع اجزاء جسده فيغطيها . وقد تستمر هذه التغريدة لمدة نصف ساعة بصورة متواصلة . وتظل اغرودة الشباب على هذا المستوى الذي يمثل قمة تطورها لدى البلابل ، وذلك منذ انتهاء الشهر الأول من عمرها وحتى حلول الخريف التالي وما يصحبه من نزوع هذه البلابل الى الهجرة ، حيث تضيع مع هذه المرحلة الجديدة من حياتها معالم اغرودة الطفولة . ويؤكد « كريج » ان البلابل الامريكية من نوع « وود بيوى » لا تتعلم التغريد مـــن المؤثرات الخارجية وانما يتصرف البلبل من تلقاء نفسه الى التغريد اللامكتسب . وبعد ان ينتهي موسم التناسل في فصلي الربيع والصيف تعود اغرودة الشباب لتظهر من جديد منذ الشطر الاخير من شهر اغسطس وحتى منتصف شهر ديسمبر . وهي تدعى هنا « اغرودة الخريف وهي لا تختلف في شيء عن نفس الاغرودة التي كان البلبل يصدح بها في طفولته ، فهو يؤديها هنا ايضا في هدوء وتدفق .

ويؤدي مرور الهرمونات الجنسية في دم البلبل الى حدوث بعض التغيير على طابع الاغرودة لديه ، اذ يغرد الذكر في هذه المرحلة بصوت اعلى ولمدة اقصر من تلك التي كانت تستغرقها اغرودة الطفولة . ذلك ان تغريدة هنا لا يستغرق اكثر من ربع ساعة ، حيث يصدح بها من جلسته الامنة واحيانا اثناء طيرانه المائل . وتتألف هذه الاغرودة من عدد من « الموتيفات » الموسيقية العالية لا يتجاوز الخمسة عشر . فلا عجب ان كانت اغرودة الطفولة تتحول في هذه الحالة الى عدد من الموتيفات اقل عذوبة واكثر خشونة . وقد اثبتت الملاحظات العلمية ان هذه الموتيفات الاخيرة تلعب دوراً هاماً في المراحل التمهيدية من عملية حفظ النوع . فهي تعلن مطالب الذكر بشأن الحصول على عش مستقل لا يطأه سواه وعائلته . كما انها تعزز الروابط «» بين البلبلين العشيقين ، وهي تستعمل ايضاً في حماية عش البلبل ضد الغائرين من فصيلتـــه . وقد تبين ان هذه الاغرودة تلقى المزيد من الاجادة لدى البلابل التي تقطن في اماكن متجاورة ، حيث يقوم كل من البلابل المتنافسة بتأكيدها واختصارها الى ان تصبح بعد فترة قصيرة مشتملة على عدد قليل من الموتيفات الموسيقية التي يتبادلها الذكران المتنافسان . فاذا « ردح » احدهما **بموتيف تغريدي معين رد عليه منافسه بنفس صيغة الموتيف . اما اذا قاطع احدهما الآخر اثناء اداء اغرودة « الردح » ، صمت البلبل ، صمت البلبل الذي قوطعت اغرودته حتى ينتهي الطرف الاخر من مقاطعته ، ثم يعود فيسرد اغرودته بلا توقف مكرراً المقاطع التي سبق ان صدح بها قبل ان يقاطع . ومن الجائز في بعض الاحيان ان يؤدي تعديل البلبل هذه الاغرودة واختصاره لمقاطعها الى رتابة الحانها . ولا يصح ان نغفل هنا ان اختصار الاغرودة وتركيزها الشديد غالباً ما يكون مرتبطاً بمدى كثافة سكنى البلابل في منطقة واحدة ، ذلك ان المنافسة بين الذكور تصبح اكثر احتمالاً كلما كان جوارهم قريباً . واننا اذ نذكر مثل هذه التفاصيل انما نود ان نلقي ضوءاً على التفاعلات النفسية في حياة هذا النوع من الطير حتى نتبين مدى قصور وعجز التفسير الآلي لسلوك الطير .**

ويحدثنا « لورنتس » عن الـــطريقة التي يتميز فيها عرض الاغرودة باللعب الخالص ، فنحن في امكاننا ان نستدل على احساس البلبل القابع بين طيات صدره الصغير عن طريق ملاحظته عرضه الذاتي للاغرودة ولعبه وتحويره لمقاطعها . وقد ثبت ان البلابل تميل للاستماع الى النغمة . واذا كان يتوجب على العالم البيولوجي المحدث ان يكون حذرا في استعمال العبارات الشعرية الاخاذة ، فانني لا ارى هنا — بالرغم من ذلك — ان « نشوة البلابل » التي حدثنا عنها الحكيم الصيني « دشوانج — دسي » تبعد كثيراً عن تصوير احساس البلبل بصورة علمية موضوعية .

تتبين مما سبق ان اغرودة النوع تبرز خاصة جديدة لدى البلابل الا وهي التعبير الذاتي ، وافصاحهم عن اعماقهم ، ذلك انه عن طريق اللعب والتغريد « اللاوظيفي » يتحول لديهم الزمن الفيزيقي الميت — الذي يمر بلا معنى ولا مضمون — الى زمن معاشي وتجربة حية — ونحن نعلم من تجاربنا الخاصة ان مجرد قضاء الوقت دون شغله بنشاطات متجددة ، أمر صعب الاحتمال ، ويحمل بين طياته « الملل القاتل » . كما نعلم من الجانب المقابل ان الاحساس بالزمن يكاد ان يتلاشى في حالة الاحساس بالسعادة الحقيقية ، وكأن الوقت السعيد هو بلا زمن . ولعل التعبير اللغوي اكثر ما يكون وضوحاً ودلالة حين يعرف الفراغ الزمني بانه « قاتل » ونحن نلاحظ ان التجارب السلبية تؤدي الى الاحساس بالفراغ الزمني ، بينما تؤدي الخبرات الايجابية — على العكس — الى نسيان عنصر الزمن . كما اننا نرى ان هذين المبدأين هما اساسيين لدرجة انه يجوز لنا ان نفترض وجود مقابل لهما في حياة الانواع المتطورة من الحيوان . ولعل الدليل العملي على صحة هذا الافتراض يكمن في الاهمية البالغة التي تلقاها عمله شغل وقت الحيوانات بصورة كيفية في حديقة الحيوان . وعلى ذلك فانه من اللازم ان نفهم كافة محاولات الكائنات الحية للعب — على انها تبذل لقتل الفراغ أو بعبارة أخرى لملء الوقت بنشاطات ايجابية . بل انه يبدو لنا انه يجب فهم وظيفة اللعب لدى الكائنات الحية في هذا الضوء الجديد اكثر من ظاهر اللعب نفسه ، فنحن لا نستطيع ان نعي الاغاريد اللاوظيفية التي تصدح بها البلابل في طفولتها ، أو تلك التي ترددها في فصل الخريف ، أو محاكاة البغاء للاصوات ، الا اذا افترضنا انها تهدف في معظمها الى « ملء الفراغ » بنشاطات متجددة حيـــة . ■■■

عبد الجبّار بنْ حمديسْ

بقلم : عصام عيران

ذَكرتُ صقليـــــة والأسى
يُهيجُ للنفسِ تذكارَهـــــا
ومنزلـــة للتصابي خَلَتْ
وكـــان بنو الظَّرْفِ عُمَّارَهـــا
فـــإنْ كنتُ أُخرِجتُ من جنـــةٍ
فاني أحـــدّثُ اخبارَهـــا
ولولا مُلوحـــة ُمـــاءِ البُكـــا
حَسِبْتُ دموعي انهارَهـــا
ضحكتُ ابنَ عشرينَ مـــن صَبْوةٍ
بكيتُ ابنَ ستـــينَ اوزارَهـــا
فَلا تَعْظُمَنَّ لديـــكَ الذنوبُ
فما زا لرَبِّـــك غفّارَهـــا

● صقليـــة :

جزيرة تطفو فوق ميـــاه البحر الابيض المتوسط ، وتطوي في احشائها الضدين متجاورين متلاصقين النور والظلام .. الخصب والامحال ..

.. فالخصب والضياء في مروجها الخضر ووديانها المرع وبساتينها الغنـــاء .. والجدب والعمه ، والدمار في اللحم الهاوية اليها من اغوار بركان « **اتنـــا** » الذي يغلي مرجله منذ القدم في القلب من ارضها !!

جزيرة ايطالية .. مساحتهـــا تقـــارب الخمسة وعشرون الف كيلو مترا مربعـــا ، ويتجاوز عدد سكانهـــا اليوم خمســـة ملايين نسمة . استعمرها الفينيقيون واليونـــان قديما ، واسسوا فيها المدن التجارية الزاهرة ، وغزاها العرب المسلمون بأمر من والي القيروان بتونس : زيادة الله الاغلبي،وبقيادة اسد بن الفرات عام ٢١٢ للهجرة ، الموافق لسنة ٨٢٧ ميلادية .

ولم يستتب للعرب امر الاستيلاء على الجزيرة بكاملها الا بعد سنوات طويلة ومريرة ، تخللتها حروب وهجمات من عدة ولاة وقادة عسكريين ، عرب وافرقيين .

الا ان غنى الجزيرة وازدهارها كانا دائما يغريان السكان الايطاليين القريبـــين منهـــا — المعروفين باسم النورمان — باستعادتها مـــن ايدي المسلمين الفاتحين .. بحيث انهم طفقوا يحتالون لذلك حتى شرعوا باولى هجماتهم علـــى **صقلية** عام ١٠١٦ م وتتابعت غزواتهم طوال ٧٥ سنة متواصلة ، تم لهم بعدها — اي في ســـنة ١٠٩١ م — الاستيلاء النهائي على الجزيرة بكاملها ومن ثم اجلاء الحكم العربي السياسي عن ربوعها الى الابد !!

وفي خضم غزوات النورمان هذه ، ولـــد شاعرنا العربي الازدي : **عبد الجبار ابن حمديس**، في بلدة **سرقوسه** بصقلية ، سنة ٤٤٧ هجريـــة الموافقة لسنة ١٠٥٥ م .

في سرقوسه تلك ، الفاغرة ثغرها الابيض العريض ، اغترت ابن حمديس من منهل الثقافة

الادبية ما مكنه من قول الشعر في صباه ، ومن التحدث فيما بعد عن الصحة والمرض وطبيعة الهواء والغذاء ومن تصارع العناصر .. كما اشتملت معرفته المتزايدة مع الايام العروض والنحو والتاريخ وطبائع الحيوان ، حتى انه استساغ يوما تاليف كتاب عن (تاريخ الجزيرة الخضراء) ..

ولم يمنعه تمسكه باهداب التقوى والدين والتقاليد — وهي مكتسباته من بيئته العائلية — عن التسلل في اغلب الاحايين الى اماكن اللهو والاديرة وحانات الشراب .. كما شارك ، من جهة اخرى ، في بعض الغزوات الحربية .

● الهروب :

ولكن النورمان كانوا في هذه الاثناء — بل فيما قبل ذلك بعشرات السنين — لا يزالون يكررون الحملة على صقلية العربية .. وقد استطاعوا تدريجيا ان يستولوا على المدن والقرى في الجزيرة المنكوبة .. فكان سقوط **بالرمو** والاجزاء الصقلية الاخرى بايديهم انذارا لابن حمديس — المتطلع الى المجد الادبي اكثر من طموحه الى الرفعة العسكرية — لكي يحزم امره بين البقاء بين اهله اسيرا في ربقة النورمان ، او الانطلاق الى افاق الدولة العربية المترامية الابعاد .

لقد فضل **ابن حمديس** الحرية على الاسر .. فكان ان دفع ثمنا لتلك الحرية سنوات اثر سنوات وسنوات من التشرد في بلاد المغرب والاندلس ، والاما روحية لا حد لها ، بعثها احساسه العميق بالذنب ، لتخليه عن موطنه ومرتع طفولته وبلد اهله الاقربين . واحساسه الاشد ، بالتالي ، بدفقات غامرة من الشوق والحنين الى **صقلية** .. وهي دفقات كانت تكتسح متعطفات قلبه ، فتنتشر فيها الاسى والشجن ، وتحبب اليه العيش في حلم يقظة يود الا يفيق منه ، ينتشر في اجوائه عبق الذكريات الخاليات ..

وانها لعمري ، مشاعر والام كل متشرد مبعد عن وطنه ، بل احاسيس كل مغترب عن الاوطان، يشده الحنين الى الماضي الاحب .. وهو الذي ما كان ليختار البعاد عن بلاده لو اتيح له فيها العيش الكريم .

وقد هاجر **ابن حمديس** من موطنه ، هربا من الغزاة ، وايمانا بعبث مقاومة هؤلاء الاقوياء المتحدين ، في الوقت الذي كان المسلمون في الجزيرة متفرقين متعادين ، يبغض الواحد منهم الاخر من اجل اعراض المادة الزائلة ، ولا يتورع احد ولاتهم — وهو الخائن الشهير **ابن الثمنة** — عن ان يستدعي الايطاليين بنفسه الى الجزيرة ويسلمهم بعض اجزائها ، انتقاما من اخوانه في الجنس والدين !!

وبالرغم من وجود امثال **ابن الثمنة** من الخونة ، فقد كان ثمة رجال دافعوا عن عروبة صقلية حتى الرمق الاخير .. مثل القائد الشجاع المعروف **بابن عباد** ، الذي مجده **ابن حمديس** واشاد ببطولاته ، لدفاعه عن بلده **سرقوسه** بالذات ، ولكن حظ الخيانة غالبا ما يكون هو الاقوى .. اذ ما كان الهدم يوما بل في كل زمان ومكان . الا الاسهل والايسر والاسرع من البناء .

● الحنين والغربة :

يوم فارق ابن حمديس موطنه ، شابا يافعا طري العود ، حمل معه كل الذكريات التي عاشها هناك رخي البال ناعم العيش ، نزوعا الى التمتع بمعطيات الاله لبني البشر من حب وجمال ولهو لا يؤذي الاخرين .. وظل يحن طيلة حياته الى ربوع صقلية الخلابة الرؤي ، الرائحة الطبيعة ، حتى انه هتف مرة عندما راى زهر النيلوفر :

هو ابنٌ بلادي ، كاغترابي اغترابُهُ
كِلانا عن الاوطانِ ازعجَهُ الدهرُ

وقد اصاب الدكتور **احسان عباس** عندما لاحظ في دراسته القيمة عن شاعرنا وديوانه ، ان الغربة كانت اقوى قوة حركت الشاعرية الصحيحة في نفس **ابن حمديس** .. وان ايام صقلية هي التي كونت منه شاعرا ، ولكن بعد ان ضاعت واسلمته الى ضياع .

● الى الاندلس :

كانت هجرة ابن حمديس اول ما كانت ، الى شمال افريقيا .. حيث لم ينتوي المقام ، بل العبور فقط بارضها في توجهه الى كعبة الشعراء والادباء في ذلك الزمان : الى **اشبيلية الاندلس !!**

وصل الاندلس تلك عام ٤٨٤ هـ ، وفي النفس مطمع غال عزيز ، هو ان ينال الحظوة لدى صاحب **اشبيلية**: المعتمد على الله **محمد بن عباد** بيد انه لم يحصل على مبتغاه هذا الا بعد فترة من الانتظار كانت تسلمه الى يأس من لقاء المعتمد .

وسرعان ما استطاب **ابن حمديس** العيش السهل المليء بالمسرات في **اشبيلية** ، فكان يرتاد مجالس الشراب على السواقي ، ويشهد مجالس الرقص التعبيري ، ومجالس المناظرات الشعرية مع شعراء **كعبد الجليل بن وهبون ، وغالب بن رباح المشهور بالحجام ، وعبدالله بن مالك القرطبي ،**

وغيرهم .

واطال المدائح في المعتمد **بن عباد** ، واشاد بجهاده ضد الروم ، ومدح **الرشيد عبيد الله بن المعتمد** ، ولم يمدح في الاندلس غير هذين الاميرين .

وكان خلال ذلك ينتشي باخبار **صقلية** وتبهجه احاديث البطولات فيها ، فينظم العديد من القصائد يشجع فيها اهل بلده ويستثير حماستهم وحميتهم من اجل متابعة الجهاد المقدس ، وعدم الاطمئنان الى الشرود من ارض المعركة وميدان الشرف ، فالغربة كما خبرها ذل واي ذل :

تَقيَّدْ مـن القطرِ العزيز بموطنٍ
ومُتْ عندَ ربعٍ من ربوعكَ او رسمِ
واياكَ يوماً ان تُجرِّبَ غُرْبَـةً
فلن يَسْتجيزَ العقلُ تجربـةَ السمِ

الا ان القدر المحتوم كان لصقلية واهلها بالمرصاد ..

وبدات غيوم الياس تزداد احلالكا في نفس **ابن حمديس** ، الذي راى ان مدن صقلية بما فيها بلدته الحبيبة **سرقوسة** ــ تتساقط الواحدة بعد الاخرى في يد الاعداء النورمان (الايطاليين) .. والى المصائب تعتوره من كل جانب بغير شفقة : كمصابه بموت والده ، وفاجعته بغرق القائد العربي الصقلي **ابن عباد** بينما كان ينتقل من سفينة الى اخرى اثناء احدى المعارك الحربية . ثم سقوط حكم المعتمد صاحب اشبيلية وسجن ابن تاشفين له ..

وتلفت ابن حمديس حوله حائرا مفزوعا ، فالفى نفسه غريبا طريدا في الارض ، قد ذهبت صقليته الحبيبة الى غير رجعة :

لقدّرتُ ارضي ان تعودَ لقومها
فساءتْ ظنوني ثم اصبحت يائسا
صقليـة كادَ الزمانُ بلادَها
وكانت على اهل الزمان محارسا

اشبه هولا بنكبته في خسارة صقلية :

ابادَ حياتي الموتُ ان كنتُ ساليا
وانتَ مقيمٌ في قيوبكَ عانيا
وانْ لم أبارِ المُزْنَ قطرا بادمعٍ
عليك ، فلا سقيت منها الغواديا
تعريت من قلبي الذي كان ضاحكا
فما البس الاجفان الا بواكيا

● الى افريقيا :

ويشد الشريد رحاله الى افريقيا ، بعد عشرين عاما قضاها في الاندلس ومغانيها ، الحسان ، وبعد محاولة وحيدة قام بها من اجل العودة الى اهله في صقلية ، وهي محاولة كادت ان تسلمه الى الموت غرقا في لجة البحر .. لكانما القدر قد حرم عليه ان يتملى من وجه وطنه بعد ان غادره شابا يافعا ، تهدهده الاحلام والمطامع البعيدة ..

وفي شمال افريقيا ــ التي عاش **ابن حمديس** فوق ارضها اكثر من نصف عمره ــ اتصفت حياته بالخمول وشكوى الكبر وانتحال الحكمة والزهد ، والتكسب بالمدح والزلفى ليعيش .

وخمدت رويدا رويدا جذوة الشاعرية فيه.. كما قل ذكره لصقلية في شعره ، فانه لم يرثها الا مرة واحدة ، وهو في الستين من العمر ، حينما ابدع تلك القصيدة التي تعتبر من اجمل ما عرف من شعره واشهر ما ذاع له حتى يومنا هذا ، وهي القصيدة التي مطلعها :

قضتْ في الصبا النفسُ اوطارَها
وابلغها الشيبُ مضمارَها

والتي جاء في اواخرها تلك الابيات المشهورة ، التي صدرنا بها حديثنا هذا :

ذكرت صقليـة والاسى
يهيج للنفس تذكارها

● نذر الرحيل :

ومن غرائب ما حدث لهذا المعذب الطريد ، ان اشاعة كاذبة ترامت الى مسامع ابنته التي كانت تحبه اشد الحب مفادها ان اباها قد مات.. فاقامت لذكراه مأتما حزينا وبكته احر البكاء ، ولكن شاءت الاقدار ان تموت هي قبله ، وان يعيش بعدها حزينا متفجعا ، يرثيها ويتذوق وحده مرارة الغربة وطعمها الكريه :

اراني غريباً قد بكيتُ غريبـةً
كِلانا مَشُوقٌ للمواطنِ والاهلِ
بكَتْني وَظَنّتْ انني متُّ قبلها
فعشتُ ، وماتتْ وهي محزونةٌ ، قبلي

● موت الغرباء :

وانتهى الطواف الطويل بابن حمديس ، بعد ثمانين حولا من عيشنا الارضي ، في بلدة بتونس تعرف ببجايه .. دفن بها ، غريبا يفترش ارضا غريبة .. وغابت عن انظاره الى الابد صقلية التي عشق ، كما تقلص عن صقلية هذه فيما بعد ، ظل الاسلام ومجد الضاد .. فضاعت عروبتها مع ما ضاع ويضيع حتى يومنا هذا من اوطان غالية سليبة ، وتراب عزيز مغتصب ، وحقوق للاسلام بينات ، وامجاد للعروبة ماضيات ..

بجماليون

«*روت الاسطورة الاغريقية ان الالهة فينوس ، حققت لبجماليون امنيته ، لانها كانت تكرهه ، فقد كان متكبرا » .



ساحرتي اهدابها وارفة الظلال
وعينها كحلها الجمال
ورقد الحنان في نظرتها
تدثرت قامتها بالسحب البيضاء
وخطرت كانها ضياء
ولو تمد اصبعا الى الافق
تشيع فيه حجلة فهو شفق
او يتولاه الفرح
فيرتدي قوسي قزح
ومثلما ترفرف الاحلام
وتتسامى بالنبي لحظة الالهام
تطيف بي صورتها بعيدة الالهام
تطيف بي صورتها بعيدة المنال
ولا ازال اجمع الاضواء والظلال
لارسم اللوحة في الخيال

★★★

هل يا ترى افتح عيني ذات امسيه
فاذ بما صورته قد صار انسيه ؟
لقد اتيحت مرة في زمن سحيق
جادت بها الهة الاغريق
على الفتى المثال (بجماليون)
احلامه .. اشواقه .. جسدها تمثالا ..
في صورة امراة
واذ رآها خلقت مبراة ..

والجفاف

بقلم : اسماعيل الصيفي

جثا على اقدامها اجلالا :
« فينوس يا الهة الهوى
اني ظمئت للحياة .. امضني الظما
مرى لهذى الكاس ان يملاها شراب
فتعمر العينان بالرحيق ، والشفاه بالرضاب »
فانصتت ستائر المعبد للصلاة
وابتسمت (فينوس) للاناة
هذا الذي قد عاش في سحاب الكبرياء ..
قد عرف الرجاء !
ووقع المحال
فدبت الحياة في التمثال
واعتصمت (فينوس) فوق قمة (الاولمب)
لترقب الفتى اذا اكتوى
وبات مضنى القلب
لقد رايته يشف حبه الفؤادا
ويحتسي العذاب والسهادا
لكنني احسده ان حقق الامالا
اما انا فلوحتي لما تزل خيالا

★★★

وقد تند زفرة في صمتي العميق
ضراعة الغريق
ولوعة الطائر اذ يبحث عن رفيق
ويمتطي في دمى الكلال
فادع الكتاب واليراع في ملال
لشد ما الهت خلف زائف الامال !
النبع في الشمال
ولم ازل اسوق للجنوب في رمال
ولم يزل حداتنا في فمهم موال :
« الى بلاد الهند
الى بلاد السند يا جمال
لنحمل الحرير والطيوب واللآل »
نعود يا حداة .. من يدري ؟
وهل يعود راكب الليال ؟
وغبت عن صحبي باطراقي
حدقت مذعورا لاعماقي :
واحربـــــا !
الغصن هم ان يكون حطبا
تقلصت اوصاله فانشقا
وكف عن نموه .. سموه .. فاطرقا
يا ضيعتي اذا انا رجعت بالحرير
وعدت بالعبير
ثم رايت الغصن غاض نبعه وجف
قد اقفر العش الذي كان به ، فاستوحشا
واجهشا !!
اليس مما يرهق النفوس ..
مما يشق حمله حتى على فينوس ..
ان تخفق الحياة في التمثال
من بعد ان يصوح الشتاء
نضارة المثال !

شاعر في القافلة عبد الباسط الصوفي

بقلم : عدنان الداعوق

لست ادري على وجه التحديد السبب الاساسي لكل تلك الحيرة والضياع والالم .. هذه الصفات وحدها التي اتصف بها الشاعر المرحوم «عبد الباسط الصوفي» .. وكانت عنوانا لحياته ومماته .

ورغم انني عشت مع الشاعر اياما غير قليلة .. وعرفته عن قرب وكانت بيننا مودة موصولة ، الا انني لم استطع ادراك السر الحقيقي لكل من حيرته وضياعه والمه .

وقد استطيع ان اقول : ان الشاعر ولد ضائعا ومات ضائعا . فما هو اذن هذا التأثير المباشر الذي صبغ حياة الشاعر بهذه الالوان القاتمة ؟

قد يقول قائل بـ « ان الشاعر كان يبحث عن ذاته » .

فهل من المعقول ان يبحث المرء عن ذاته وهو في لجة الضياع ؟ او هل من المفروض ان يضيع المرء ويطمس معالم واقعه ليجد نفسه ؟ واين تلك النفس النازعة النازحة ؟

لقد اختلف النقاد في تصوير او تحديد ماهية النفس البشرية في هذا العالم الحديث الملون بالوان الغموض والضياع .

فمنهم من يقول : ان الغموض والضياع يعود الى اسباب فكرية بحتة .. كان يهرب الفنان من واقعه بعدما يلقى من هذا الواقع السلبية المطلقة .. ومنهم من يلبس ثياب القلق والتشرد ويكون بهذا قد توج نفسه اديبا فنانا .. اذ اصبحت هذه الصفات الشكلية في كثير من بقاع العالم عنوانا للعبقرية .

واذا حاولنا ان نغوص الى اعماق كثير من العباقرة في العالم بالجهد والتأني الدارس لاستطعنا ان نلم بأمر واحد فقط .. الا وهو : من كانت نفسه سوية كان انتاجه سويا ومن كانت نفسه شاذة شاردة اصطبغ انتاجه بالوان نفسه المشتتة الضائعة .

معنى ذلك ان الشذوذ بكل اشكاله وانواعه سبب مباشر لتلوين حياة الفنان مهما كانت اساليبه وثقافته واتجاهاته .. ولدينا على ذلك امثلة كثيرة منها حياة « رامبو ، وبايرون » وغيرهم كثير كثير في الادب الغربي والعربي على السواء .

وقد يكون الشذوذ العبقري من حسن حظ الادب والفن ، لانه اعطانا بالفعل لونا جديدا من الادب الذاتي — وان كان متطرفا منحرفا في بعض الاحيان ، الا انه نهج رائع نستطيع من خلاله ان نلم ونعرف ونغوص الى اعماق اولئك العباقرة ، ونتعرف على ذواتهم من الداخل وعلى نفوسهم ، وكيف يفكرون ويعيشون وينتجون ..

واذا عدنا الى شاعر حمص المرحوم « عبد الباسط الصوفي » ندرس اسباب قلقه وسلبيته وهروبه من الحياة .. ثم اذا حاولنا اكثر من ذلك كأن نعرف السبب لسلوكه ذاك نجد انه كان يتمتع بشكل وشخصية لا بأس بهما — هذا اذا كان للشكل العام اثر في الانطواء او الانطلاق في حب الحياة او كرهها .

ثم لوجدناه كذلك موظفا بدخل محترم يكفل له عيشا ومستوى معينين . ثم لوجدناه ايضا يحب ويحب ، ويتمتع بجمال الوجود والحياة ، ويتغنى بجمال الطبيعة والمرأة ..

بعد كل هذا نستخلص من حديثنا ان الشاعر كان يتمتع بنوع من الحياة السوية ، وان كانت لا تخلو هذه الحياة من منغصات .

واذا اخذنا شعره وقارناه بحياته نجد ان هناك فارقا كبيرا واختلافا بين شخصية الشاعر وشخصية الشعر .. ونستطيع كذلك ان نلمح بمنتهى الوضوح الاخفاق الكبير الذي تردى فيه الشاعر كانسان . اي بمعنى اخر نتمكن من السؤال الكبير ، بعدما المنا بحياته الخاصة : « لماذا الشذوذ الفني في حياة الشاعر الصوفي » ؟

وقبل ان نجيب سلبا او ايجابا على هذا السؤال ،

نحاول ان نستعرض حياة الشاعر العامة :

.. تخرج من كلية الاداب في الجامعة السورية ، ولم يرغب ان يعمل مدرسا فاشتغل في الاذاعة السورية وعمل مذيعا .. وبعد فترة مل عمل الاذاعة فعمل مدرسا وعين استاذا في دير الزور بعيدا عن مدينة حمص .. وهناك اخذ يغني مدينته الحبيبة في اشعاره ويتلهف لـ « ام الحجار السود » .

وبعد ان عاد الى حمص اثر عامين قضاهما بعيدا عنها اخذ يتعجل الهرب من المدينة التي غناها وتلهف للقاء احجارها السود .. فمل الحياة واخذ يرقب الغد، ولكن بآمال معتمة ونفس متشائمة .

وصدف ان زارني مرة في حمص الاديب والناقد الكبير المرحوم الدكتور محمد مندور تصحبه زوجته الشاعرة ملك عبد العزيز ، وطلب الي ان يتعرف على بعض ادباء حمص وشعرائها ، وكان الشاعر « الصوفي » واحدا من الشعراء الذين قدمتهم للدكتور مندور ..

وفي جلسة رائعة ، ما زلت اذكرها ، على ضفة العاصي طلب الناقد الكبير من الشاعر الشاب ان يسمعه بعض شعره ، فانطوى الشاعر ، بادىء الامر على نفسه ، ثم اخذ ينشد ..

واثناء ذلك همس الدكتور مندور ، رحمه الله ، في اذني يقول :

ــ « هذا بعينه الشاعر الشاعر .. ان لديه طاقات هائلة من العطاء ، ولكن تنقصه الغربة والارتحال . »

ولم يدر بذهن احد ان نهاية الشاعر ستكون في الغربة !.

فتقدم الشاعر « الصوفي » متطوعا للعمل في تدريس اللغة العربية في افريقيا ، ورحل . وجاءت منه رسائل كانت تدل على ضياع اعم واشمل .

ورغم أن روحه كانت تنشد الغربة ، الا انه لم يدر ماذا يفعل هناك . فأصيب بمرض اضطر بعده لان يقدم على الانتحار ، وقضى في افريقيا وهو لما يتخط بعد عقده الثالث .

والان . ماذا نستطيع ان نقول ؟ اين كان يقف الشاعر « عبد الباسط الصوفي » من ازمة العالم ومشكلة العصر « القلق » ؟

لقد كان الشاعر يمثل القلق نفسه ، هذا القلق الذي لم يدع له العيش في هناء الابداع وسعادة الخلق الفني .

فقد حبته الطبيعة روحا صغيرة لم تستطع ان تستوعب كبر الحياة وعظمتها ، كان ينشد الانطلاق وكان الانطلاق نفسه السبب في جلب المتاعب له ، وكان ينشد الاستقرار ولكنه سرعان ما يمل ذلك .. وكان وكان . ولكنه بالفعل لم يكن يعلم ماذا يريد . فأشبع نفسه بالسؤال :

« أنا ، والشراع ، وقيثارتي : غربة وارتحال . »

بعد كل ما تقدم ، نعود مستوضحين :

هل كان لضياع الشاعر « الصوفي » سببا فكريا معينا ، فاضطر لان يهرب من الواقع بعدما لقي من ذلك الواقع السلبية المطلقة ؟

أم انه لبس ثياب القلق والتشرد ليضرب في العالم ارتحالا وليقال عنه ، هذا هو الشاعر ؟

قد نجنح الى القول ان هناك سببا فكريا استطاع ان يسلخ الشاعر عن واقعه ويدعه يتقوقع حول نفسه، فيشرد ويلتمس الوحدة والانطواء ، يمضغ الالم ولا يطحنه او يتغلب عليه .. فقد احس الشاعر ان من حوله لا يستطيع ان يدرك ما تهفو اليه نفسه الشاعرة المرهفة امام تجربة مرة قاسية .. يريد ان ينطلق ليحطم القيود ، ولكن اسلوبا معينا يقيد تصرفات الانسان ، والشاعر انسان قبل كل شيء . وقد جنحت نفسه الى التمرد .. فكان التمرد اكبر من روحه التي ضاعت من قبضته وهربت .

وامر اخر ايضا يثير في نفوسنا التساؤل : التشاؤم . التوأم الوحيد للشاعر « الصوفي » ، لم تكن الحياة بكل صورها ومباهجها ترضيه .. ولم يكن هو نفسه يعرف ماذا يرضيه : « انا ، والشراع ، وقيثارتي : غربة وارتحال » .

والحقيقة ، كل الحقيقة التي وردتنا صادقة صريحة من افريقيا ، حيث اقام الشاعر . جاءتنا في ثلاث رسائل اسكتت في النفوس كل التساؤلات وبدت نفس الشاعر كما هي .. واستطاع هو هناك ان يرى نفسه بوضوح ويكتشف اسراره بلا اصباغ ولا اضواء .

ولكن التجربة ، تجربة كشف الحقيقة ورؤية النفس، كانت اكبر من أن يستوعبها الذهن ، وذهن الشاعر على الاقرب .

فاذا هو يمرض في افريقيا . وتكون النهاية ، نهاية الشاعر ، بيده هو .

في الرسالة الثالثة يقول :

« ... وانما في اعماقي كائن عجوز هرم مريض أحمق ، يرتطم الان ارتطاما قاسيا على صخور تجارب وحقائق جديدة . انا الان في بوتقة ، اريد انصهارا كليا لادرك واستطلع قابلية الادراك في ذاتي ، اريد انصهارا كبيرا على الجزع الروحي الذي مزقني ..اريد ان اتعرى على صعيد روحي .. اريد رؤيا جديدة حيث لا ضجيج مصطنع ، ولا تصميم متهور ، ولا التواء للزيف والنفاق .. حيث العراء المطلق الانهائي ... »

ثم ماذا ؟

ليس امامي الان سوى رسالتين والثالثة ضاعت . وديوان شعر بعنوان « ابيات ريفية » !

هذا كل ما بقي من حياة واحد في اول القافلة .

وقت للكلام

قصة قصيرة

بقلم

ابراهيم أصلان

اشعل سيجارة ، واسترخى على مقعده قليلا .

كان المشرب هادئا وظليلا في فترة ما بعد الظهيرة تلك ، وبدا خاليا الا من رجل بدين جلس على مقربة منه يتصفح جريدته باهتمام ، وامراة وحيدة انزوت في احد الاركان البعيدة .

نفض الشاب رماد سيجارته ، وراح يتطلع عبر الحاجز الزجاجي الكبير ، الى الناس والعربات التي كانت تروح وتغدو بالخارج في ضوء الشمس ، عندما دفع المدخل ذو المقبض النحاس اللامع ، ودخلت فتاة في الثامنة عشرة من عمرها او تكاد ، اقتربت من مكانه وهي تقول بلهجة مرحة :

ــ « انا آسفة جدا ، تاخرت عليك » .

ووضعت حقيبتها على المنضدة وجلست قبالته . في نفس اللحظة التي وقف فيها الشاب لاستقبالها وهو يتامل عينيها الضاحكتين ويقول :

ــ « اهلا وسهلا » . وجلس بدوره : « اهلا وسهلا »

خفض الرجل البدين جريدته ورمق الفتاة من فوق حافتها . قالت وهي تجفف وجهها :

ــ « عندما اتصلت بي ، كنت على وشك ترك العمل والذهاب الى المنزل . ولكن فضلت الا اتركه عندما قلت انك تريد مقابلتي » .

اشار الشاب الى عامل المشرب . تقدم العامل وهو يتحرف بين المناقق المعدنية .

وعندما وقف امامهما انحنى وابتسم للفتاة . قالت :

ــ « كوكا » .

والتفتت الى الشاب وابتسمت في وجهه ابتسامة كبيرة . كان وجهه اسمر وعيناه داكنتان .

قالت :

ــ « هيه ، كيف الحال ؟ »

ــ « عال » .

ــ « اين انت ؟ » .

ــ « في الدنيا » .

ــ « مستحيل » .

ــ « اذن في الاخرة » .

ــ لا . حقيقة اين انت ؟.

ــ « الا تصدقي انني في الدنيا ؟ » .

ــ لو كنت في الدنيا كنا رايناك على الاقل .

ــ كنت ارسل لك السلام معه .

ــ وماذا كنت تقول له ؟.

ــ احضر عامل المشرب زجاجة الكوكا كولا . وضعها امام الفتاة بعناية ، وتراجع الى الوراء وانصرف . قال الشاب :



ــ انا آسف . ازعجتك بالحضور في هذا الجو الحار .

دفعت براسها لتنفض بشعرها القصير عن جانبي وجهها . بدا عنقها طويلا ونحيلا .

قال وهو يطفىء سيجارته :

ــ في الحقيقة هناك مسالة . مسالة هامة جدا .

زوت ما بين حاجبيها وهي ما زالت محتفظة بالمرح في عينيها :

ــ هل حدث شيء ؟

ورفعت زجاجة الكوكا كولا الى فمها . كانت المراة الوحيدة تسعل سعالا متقطعا حادا . قال :

ــ لقد تغير جدا .

ــ تغير ؟

ــ من حوالي اسبوع وهو يجلس صامتا وقد كف عن كل شيء .

ــ ما هذا ؟

ــ قالوا لي جميعا انه كف عن كل شيء ولا اعرف ماذا افعل الان .

فرد الرجل البدين جريدته على ركبتيه وتطلع الى الشاب . رمقه الشاب بجانب عينه فأراح الرجل ذقنه على صدره الضيق . لعقت الفتاة شفتيها بطرف لسانها .. قالت :

ــ ولكن ، لماذا ؟ .

قال الشاب :

ــ ارجوك ، لا ترفعي صوتك هكذا .

تلفتت الفتاة حولها ، همست :

ــ لماذا ؟.

ــ انه لا يقول .

ــ عجيبة !

ــ « فعلا » . وتوقف قليلا : « انا اتصلت بك بخصوص هذا الموضوع . فكرت ان اجد عندك ما يوضح لي الامر » .

ــ عندي انا !

ــ في آخر مرة تقابلتم فيها ، كان طبيعيا ؟

رفعت حاجبا واحدا :

ــ من اي ناحية ؟

ــ اقصد . اقصد لم تلاحظي عليه اي تغيير ؟

ــ عندما نلتقي لا نكف عن الضحك .

ــ وهل ضحكتما في آخر مرة ؟

ارتفعت ضحكة سريعة مكتومة من وراء جريدة الرجل البدين . توقف الشاب والتفت ناحيته . طوى البدين جريدته وقام مبتعدا بقامته القصيرة وجلس

البقية على ص : ٤٥

مَنْ هُوَ شكس

يثور الجدل الادبي حول تاريخ كل تراث ادبي خالد .. فقد ثار حول هوميروس والياذته واوديسته .. وثار جدل حول امرىء القيس الكندي .. وثار جدل حول سرقات المتنبي ايضا .. لذلك لم يكن مستغربا ان يثار مثل هذا الجدل الادبي التاريخي حول صاحب التراث المسرحي الخالد — من يكون ؟ هل هو وليم شكسبير ام انه واجهة اختفى وراء اسمه جماعة من الناس لاسباب خاصة .. هذا ما ساعرض له في هذا التلخيص ..

لقد كان هنا لتجدل كبير حول من هو مؤلف المسرحيات والمقطوعات الشعرية الرائعة التي تنسب عادة الى **وليم شكسبير** من مدينة **ستافورد — اون — افون في بريطانيا** .. وثبتت اسماء نحوا من خمسين شخصا من اعلام عصر **اليزابيث الاولى** على انهم هم واضعو هذا التراث .. ونتج من هذا الجدل الادبي التاريخي الذي اشترك فيه ادباء ومؤرخون من **انكلترا وفرنسا وبلجيكا والمانيا وايطاليا والاميركتين والارجنتين وروسيا** . نحو ستة الاف كتاب ومقال .. وشكلت جمعيات عدة للعمل على صيانة حقوق من ادعتهم باصحاب هذا التراث الشرعيين ..

ولما كان جميع ما كتب حول هذا الموضوع يميل مع الهوى فانه من الصعب جدا .. بل يكاد يكون مستحيلا ان تقام دراسة له جميعه . لذا فان خير عمل يمكن ان نفعله هو ان نذكر نقاط الخلاف وننظر اليها بشكل موضوعي ..

طبعا هناك اساتذة يرون ان الضجة كلها زوبعة في فنجان .. ولا يرون داعيا للشك او الريبة .. وعليه فهم يقبلون **بوليم شكسبير** كصاحب هذا الاثر الخالد .. ولكن الحقيقة ايضا تقول انه لا يوجد هناك دليل قاطع على ان يكون **شكسبير** هو مؤلف هذا الحشد الهائل من الروائع المسرحية . ولكنهم جميعا هؤلاء وهؤلاء ، لا ينكرون وجود رجل في ذلك العصر يعرف باسم وليم شكسبير ، وانه كان ممثلا وصاحب مسرح وان مولده كان في مدينة **ستافورد — اون — افون** حيث امضى طفولته .. وحيث عاد في اخر عمره ليواريه تراب هذه البلدة كرجل ثري موسر .

ويلمح بعضهم الى ان شكسبير لم يندب عند موته . .وانه اهمل من قبل الاشخاص الذين امتعهم بتمثيله ، كما ان اصدقاءه **في مدينة ستافورد بدوا** وكأنهم لم يكونوا على علم بشهرة مواطنهم المسرحية .

ومن المعروف ايضا ان احدا من العصر الاليزابي الاول لم يتقدم بادعاء ملكيته لهذه المسرحيات .. ولا حتى شكسبير نفسه .. ولم يظهر اسم شكسبير كمؤلف لهذه المسرحيات الا بعد وفاته بنحو ١٦ عاما .. ولذا فان ذلك لا يقوم دليلا على انه صاحبها .. وكذلك لم يتحرج اناس كانت لهم صلة بشكسبير وبالتالي معرفة ادبه في ان يقولوا بان **شكسبير** هو مؤلف هذا التراث المسرحي المبدع .



سبير

ترجمة وتلخيص : فاروق زادة

ولد شكسبير في يوم ٢٦ ابريل ١٥٦٤ وتوفي في مساء يوم ٢٥ ابريل ١٦٤٦ .. والدارس لحياته يلحظ انه حرم من فرصة التعليم ، وانه كان فقيرا . .وكان يعمل في التجارة وان انتقاله الى مدينة لندن كان بسبب اتهامه بالسرقة .. **وعمل ممثلا في مسرح مدة من الزمن حتى تمكن بعد ذلك من ان يصبح شريكا في ادارته .. وعند وفاته ترك وصيته لتوزيع املاكه وامواله ولم يرد في هذه او حتى في غيرها ما يشير الى من تنقل ملكية هذا الحشد من المسرحيات .. والى من يؤول دخولها ..**

ومسرحيات شكسبير المعروفة باسمه عديدة .. تنوعت بين الدرامية والمأساة والكوميديا والمسرحيات التاريخية .. نذكر منها على سبيل المثال :

مسرحية روميو وجوليت .. مسرحية الملك لير ..
مسرحية مكبث .. مسرحية عطيل ..

وقيل انه لامر مستغرب ان لا يشار الى مثل هذا التراث الادبي في وصية المؤلف .. ويبرر اصحاب شكسبير ذلك بان المسرحيات هذه تدخل في اتفاقية المسرح المساهم فيه .. ويقول هؤلاء ايضا ان عددا من ادباء ذلك العصر قد لمحوا الى شهرة وليم المسرحية من هؤلاء .. **روبرت جرين .. وادموند سبنسر .. وجون ديفز .. وفرانس ميرس ..**

وقالوا ايضا ان حادثة ١٦٠١ تعتبر دليلا قاطعا على ان شكسبير هو صاحب هذه المسرحيات .. والحادثة ان **الايرل اوف ايسكس** اجرى مسرحية **ريتشارد الثاني** على مسرح **جلوب** ، مؤملا هو والمتآمرون معه ان تثير هذه المسرحية اهل لندن للقيام بمؤازرته في ثورته ضد الملكة اليزابيث .. وعندما فشلت المؤامرة .. واقتيد الايرل الى المحاكمة هو ورفاقه .. ورد ذكر المسرحية كثيرا في المحاكمة .. ولكن لم يرد ذكر لاتهام **شكسبير** في المؤامرة ..

لذلك فان مؤيدي شكسبير قالوا لو ان عملاء الملكة عرفوا من هو صاحب المسرحية لقدموه الى المحاكمة .. ولكنهم كانوا يعلمون ان ظهور المسرحية لم يكن الا من قبيل الصدفة في وقت المؤامرة .. ولذ لم تمتد ايديهم الى وليم شكسبير ..

وقال الفريق الاخر .. لو كان شكسبير هو المؤلف للمسرحية لزج به في زمرة المتآمرين وحوكم .. ولكن مع كل ذلك لم يطلب اليه حتى الافصاح عن مؤلفها ..

وفي عام ١٦٢١ اقيم تمثال لشكسبير في بلدته تخليدا لذكراه .. وكان يمثله كرجل تجارة يضع يده على كيس من الذرة .. وفي عام ١٧٢٥ عندما عرف اهل بلدته شهرة مواطنهم .. ازالوا التمثال القديم ووضعوا مكانه اخر يمثله وهو يحمل قلما ويسطر على ورقة .. ومع ذلك يقول اعداء شكسبير ان وجه التمثال لا يدل على وجه نابغة . بل يدل على وجه رجل غبي ..

ويثير معارضو فكرة كون شكسبير هو المؤلف .. عدة نقاط سلبية وايجابية .. لتظهر انه ليس في مقدور رجل كشكسبير ان يؤلف هذه المسرحيات والقصائد .. حيث انها تدل على علم غزير ومعرفة واسعة بمدن اوروبا وبالالعاب الرياضية .. واللغات الكلاسيكية والاوروبية وكذلك يدل هذا التراث على علم ضخم بالامور القانونية وفوق ذلك بحياة البلاط في الدول الاوروبية ..

وعليه فهم يقولون ان من يستطيع ذلك لا بد وان يكون نبيلا عريقا .. فان **شكسبير** تنقصه الخبرة والمعرفة المطلوبة .. ولهذا اغفل اي ذكر للمسرحيات في الوصية .. كما انه لم يدع ملكيتها .. وهو لم يترك مكتبة او اهدى كتابا لاحد مما يوحي بانه مثقف .. وكما قلنا فان هذه الاراء سلبية .. فكثيرون من معاصريه ايضا لم يذكروا شيئا عن تراثهم الادبي في وصاياهم ..

ثم قام معارضو فكرة شكسبير كمؤلف بوضع قائمة تضمنت ١٤ شرطا يجب توفرها في واضع هذه المسرحيات .. ولا يوجد هناك شرط واحد ينطبق على شكسبير .. من هذه الشروط :

١ — ان المؤلف يجب ان يكون واسع المعرفة .. غزير العلم يعرف اللاتينية والاغريقية والفرنسية والايطالية وشيئا من علم الفلك .

٢ — انه يجب ان يكون شاعرا ممتازا ..

٣ — ان يكون مغرما بالموسيقى ..

٤ — ان يكون على علم بالقانون .

٥ — ان يكون نبيلا من اسرة عريقة ..

٦ — ان يكون موقفه نحو النساء مبهما ..

من الطريف ان تعلم ان اول من اثار هذه المشكلة هو **جيمس تونلي** عام ١٧٥٩ في مسرحية « **الحياة الرفيعة تحت السلالم** » . وانتشرت هذه الفكرة في عام ١٧٨٥ .. ورأى البعض ان **فرانسيس بيكون** وهو من نعرف علما ومكانة هو صاحب هذه المسرحيات ..

وفي عام ١٩٥٨ حاول البروفسور **تشرشل** ان يدحض الاراء التي ذكرت ، حول رفض فكرة كون شكسبير هو المؤلف .. فقال مثلا : « ان جميع ما نعرفه عن البلاط الملكي يعود كله الى المسرحيات .. لذا فانه من الصعب التأكد ان كان حال البلاط هكذا بالحقيقة ..

وقال ايضا صحيح ان المسرحيات اظهرت علما واسعا بالمدن الاوروبية والعلوم العديدة .. ولكن كذلك ليس بالامكان التاكد من ان هذه المعلومات كانت هكذا بالحقيقة .

ومع ذلك لم يحاول البروفسور تشرشل ان يثبت بطريقة او باخرى ان يكون شكسبير هو المؤلف الوحيد للمسرحيات .. مع انه نفى ان يكون صاحبها هو **فرانسيس بيكون** .. لما في المسرحيات من اخطاء مضحكة في القانون لا يمكن لبيكون ان يقع فيها .

ومن الاشخاص الذين ذكروا كمؤلفين للمسرحيات .. سير ولتر رايلي لمعرفته الواسعة بالبحار . ولانه اصيب بالعرج .. وذكرت كذلك **الكونتة بيمبروك** لانها سيدة متعلمة .. وقد نشرت قصائد عديدة بتوقيعات مختلفة ..

وقيل ايضا انه **كريستوفر مارلو** .. وهو مؤلف مسرحي شهيد اختفى فجأة وبطريقة سرية عام ١٥٩٣ .. اي قبل عام من وصول **شكسبير** الى لندن .. وكان يعمل في المخابرات السرية .. وقيل انه قتل في تلك السنة .. وقال اخرون انه فر من بريطانيا بعد ان اودع مسرحياته لدى **سير توماس ولزنجهام** .. وعندما فتحت مقبرة ولزنجهام عام ١٩٥٥ لم يعثر على ما يؤكد ذلك .. ولكن الملاحظ ان التشابه كبير جدا بين مسرحيات شكسبير وتلك التي نعرف يقينا **لكريستوفر مارلو** .. وهو رجل مثقف بالتاكيد ولكن الشخصية التي كاد يتفق على انها اصلح هذه الشخصيات هي شخصية **ابرل اوف اكسفورد** .. وذكر ان هناك عددا من الملاحظات في المسرحيات تشير اليه .. وهو يطلع تماما على البلاط الايطالي .. واصيب بالعرج .. وكذلك له ميول الى مقاطعة **لانكشير** ، وهذه من الشروط الاربعة عشر ، وولعه بالموسيقى غني عن التعريف . وكذلك بالرياضة .. وامور المال .. ، وموقفه تجاه النساء مبهم .. وقد جاء المدن الاوروبية .. وهو نفسه من المتحمسين للدراما والشعر ..

وقد يعتبر امر غريب ان **ابرل اوف اكسفورد** كان يتقاضى مبلغ الف جنيه استرليني سنويا من المصروفات السرية ليكتب وينظم انتاج المسرحيات كدعاية وطنية .

وتعتبر شخصية ابرل اوف اكسفورد اكثر الشخصيات قابلية لتكون مؤلفة التراث الادبي المعروف لشكسبير . . ولكننا نعود في الختام الى قول **ابن جونسون** وهو معاصر **لشكسبير** وغريمه ونده الذي يقول ان شكسبير هو صاحبها .. (والقول ما شهدت به الاعداء) .. ولكن يثار هنا سؤال .. ترى هل ابن جونسون كان مخدوعا كغيره من الناس ؟

هذا ولا زالت القضية معلقة لم تصل بعد الى نتيجة .

على مقربة من المراة الوحيدة التي كانت قد كفت عن السعال . قالت الفتاة :
— نعم . لا بد اننا ضحكنا .
— في الحقيقة انا اسف جدا . ازعجتك بهذا الكلام.
— لا شيء يستحق الاسف ، ابدا .
— فكرت انه حدثك عن شيء يمكنني من فهم هذا الوضع .
— نحن لا نكف عن الكلام على اي حال .
ارتفع صوت المراة الوحيدة . التفت الشاب ناحيتها. كان البدين يحدثها عبر المنضدة . قالت الفتاة :
— تعرف . لا اذكر اننا تقابلنا مرة الا وتكلمنا عنك. وهزت اصبعها امام وجهه :
وكان يقول لي عنك اشياء كثيرة .
— مثل ؟
— انظر .
همست بها الفتاة وهي تشير الى امراة عجوز ضئيلة الحجم . تقدمت في خطوات ضيقة من منضدة في منتصف المشرب وجلست اليها . قالت الفتاة وهي تقترب بوجهها من وجه الشاب :
— سيحضر الجرسون الان كوبان من شراب الليمون وسيضعهما امامها . وستترك هي الليمون . لن تشربه حتى يحضر رجل عجوز اخر وينضم اليها . احيانا يحضران معا واحيانا تسبقه هي . الجرسون يقول انهما لم يغيرا هذه المنضدة من سنوات طويلة جدا . تعرف ، رايتهما بنفسي يرفضان الجلوس الى اي منضدة اخرى عندما كانت هذه مشغولة . وتوردوجهها والتمعت عيناها وهي تواصل همسها :
« رايتهما بنفسي » .
التفت الشاب ناحية العجوز التي كانت رافعة وجهها الى اعلى . قال :
— انها عجوز .
— نعم . عجوز جدا . واعتدلت على مقعدها . وضمت ذراعيها العاريين على صدرها :
« المكان هنا هادىء جدا » .
— فعلا .
— كل شيء في الخارج لا تسمع له هنا اي صوت .
— الزجاج . انه يمنع كل الاصوات .
— مع انه لم يكن يحبه .
— لم يكن يحب الزجاج ؟
— لم يكن يحب هذا المكان . وتوقفت عن الكلام . وتغيرت نظراتها ، وتنهدت في عمق :
« صحيح تعودنا ان نتقابل هنا . ولكن بمجرد ان نجلس حتى كان يقول لي : ان منظر الدنيا بالخارج يشبه السينما الصامتة . ويطلب مني ان نقوم . وفي كل مرة كنت اوافقه واقوم معه . مع اني احب هذا المكان . احبه جدا .

لم يتكلم الشاب . راح فقط يقضم اظافره باسنانه . ومرت فترة من الصمت . تطعتها الفتاة وكانها تحدث نفسها :
— شيء غريب .
— قال :
— ما هو ؟.
— عندما اتصلت بي . وضحكت : فكرت في شيء .
— مد اصبعه . بدأ يرسم خطوطا في الدائرة المبتلة التي تركتها قاعدة زجاجة الكوكا كولا . قالت :
— اما زلت تؤلف اغاني ؟.
— اغاني ؟.
— كان يقول لي دائما انك تكتب اغاني وتسمعها له .
— انا لا افعل ذلك الان .
— خسارة . ها هو .
واشارت بعينيها الى عجوز راح يتقدم داخل المشرب وهو يتكىء على عصاه . ما ان جلس بجوار المراة حتى شرعا يحسوان شراب الليمون قبل ان يتبادلا كلمة واحدة . قال الشاب وهو يتاملهما :
— لو مات احدهما ، لعاش الاخر في ماساة حقيقية .
— اريد ان انصرف .
قالتها الفتاة وتناولت حقيبتها ووقفت . وقف الشاب بدوره :
— الان ؟
هزت راسها موافقة .
وبينما الشاب في انتظار عامل المشرب الذي كان يقترب منهما ، راى الرجل البدين مستغرقا في النوم وجريدته ملقاة بين قدميه . والمراة الوحيدة المنزوية تدخن سيجارة ووجهها الشاحب منحرف تجاه العجوزين . دفع الشاب ثمن ما شربا واسرع وراء الفتاة التي كانت قد امسكت بمقبض حقيبتها وراحت تطوح بذراعها في الفضاء . ووقفا على الطوار للحظة قصيرة هم في خلالها ان يقول شيئا ولكنه لم يفعل . وبينما هما يعبران الطريق لمس كتفها العاري باطراف اصابعه وهو يحثها من امام العربات . وعندما وصلا الى الموقف صافحته :
— اذا اردت ان تتصل بي يمكنك ان تفعل . ماذا ستركب ؟
— اي شيء . ساركب اي شيء .
صامت وهي تقفز بخفة داخل العربة الواقفة :
— طيب . سلام .
وعندما جلست وراء الباب نظرت الى اسفل . وبدا جانب وجهها المائل واضحا خلف زجاج النافذة . وقبل ان توشك العربة على التحرك ، التفتت وابتسمت له ثم اعتلت . وابتسم لها هو الاخر .

اضـــواء على تاريخ المسرح

تاريخ المسرح الفرعوني

رأينا في العدد السابق ان ملامح المسرحية موجودة بصورة بدائية في رقصات الانسان القديم وفي طقوسه الدينية . ويمكننا الان ان نحدد هـذه السمات وان نحصرها فيما يلي :

١ ـ احساس الانسان القديم البدائي بالناحيـة المسرحية احساسا عميقا جدا رغم حضارته البدائية ومدنيته الفجـة .

٢ ـ افتقار مسرحياته الى ما يمكـن ان نسميـه (بالعقد المركبة) او الى الموضوع المعقد .

٣ ـ عنايته الفائقة بالرقصات المسرحية (اذا جاز هذا التعبير) لدرجة ان القبائل القديمة تعتبر المخطيء في الرقص مجرما في حق الالهة وحق القبيلة .

كل هذه الملامح والصفات وجميع هذه الاحاسيس تجاه الرقص المسرحي كان قبل ان يظهـر الانسـان التاريخي او انسان التاريخ الذي نال قسطا منالحضارة وحصل على درجة معينة من الثقافة الحضارية . ومن الطبيعي ان هذا الانسان يظهر الى المدنية حاملا معـه رقصاته وطقوسه ، وكذلك يحمل معـه احاسيسـه وتقديسه لهـا .

ان الذي ينظر في تاريخ الانسانية القديم يجد ان من اقدم الامم التي ظهرت على مدارج التاريخ هي الامـة الفرعونية التي سوف نحاول ان نتلمس بعض السمات عندها ، وذلك من خلال اشهر رقصاتها واهم طقوسها الدينية ، مع ملاحظة ان التاريخ لم يحفظ لنا الا الشيء القليل جدا من صور الرقص المصري القديم . وكل ما نعرفه عنه انه كان موجودا وواسع الانتشار فقط .

ولكنا نجد هناك بعض الشواهد المعاصرة لهـذا الرقص ، نجدها تشير اليها بما يمكن ان نسميه «المسرحية الدينية » كما في شخصية الاله المصري الاسطـوري « اوزوريس » .

الذي يعتبر اهم شخصية في احـدى مسرحيـات (الالام) التي نجد لها شبها شديدا لتلك المسرحيات التي لا تزال تمثل في هذا القرن كمـا هـو الحال في مسرحيات « الالام » التي تقام في مدينة (اوبراميرجو) الالمانية وفي بلاد (التيرول) . والذي يعقد المقارنة يجد الصلة وثيقة جدا ، وذلك لان مسرحيات « الالام » القديم منها والحديث تهدف الى غرض واحد هو احياء ذكرى بطل محبوب او اله مقدس ، وذلك من خـلال عرض ماساته فنرى من خلال العرض الامه وانكساره ، ونرى في النهاية تفوقه وانتصاره على قوى الظلام والشر . وسوف نسرد قصة الاله المصري الفرعوني « اوزريس » لنرى من خلال هذه المأساة ما يمكن ان يسمى الاحساس التاريخي للتمثيلية المصرية .

ومن الشواهد القليلة التي لها صلة بهذه الطقوس الدينية مستند تاريخي يقدر المؤرخون تاريخه بانه يرجع الى سنة ٢٠٠٠ ق.م. وهو عبارة عن ملخص لطقس من الطقوس الدينية ، او حفل من الاحتفالات التي كانت تقام سنويـا .

وسوف نسرد قصة الالـه (اوزريس) بشيء من الايجاز ، ثم نحاول في نهاية هذا البحث ان نلقي الضوء كذلك على بعض الاعمال والطقوس التي كانت تقام ، والتي من خلالها نرى السمات المسرحية في التمثيلية المصريـة .

ان قصة الاله (اوزريس) عند قدماء المصريين لا تقل اهمية عن قصة (تموز)عند السوريين و(عشتروت) عند بابـل .

وتبدأ مأساة (اوزريس) عندما تـزوج من اختـه (ايزيس) على عادة المصريين القدماء كما هو معروف في التاريخ، اذ لا مانع عندهم من ان يتزوج الاخ اخته ــ وقد اثارت هذه الزيجة حقد الاخ الثالـث لهما وهـو (ست) الذي انتهز فرصة سفـر اخيـه (اوزريس) لبعض البلاد كي يعلم اهلها اصول الزراعة ويرشدهم الى بعض العادات الطيبة كما عمل لشعبه وكسب بذلك حبه وتقديره .

وتتلخص مؤامرة الاخ (ست) في انه صنع تابوتـا بمقاس جسم (اوزريس) وبعد الاحتفال الذي اعـده (ست) لاخيه عرض هذه اللعبة لانه جعل هذاالصندوق الثمين لمن يكون في مقاسه ، وبعد ان جربها مع بعـض الحاشية ، جاء دور الملك (اوزريس) الذي اتفل عليه الصندوق حين نزل به لقياسه ، ثم القى به في البحر .

ووصل هذا الصندوق الى ثغر (بيلـوس) في بيروت ويقال ان ابنة الملك شفيت من مرضها العضال حـين لمسها هذا الصندوق ، كما يقال ان شجرة الارز نمت

على الصندوق .

وقد حزنت زوجته (ايزيس) حزنا شديدا لهذا المصير الذي اصاب زوجها الحبيب وقد بذلت هذه الزوجة المخلصة كل جهد في ارجاع صندوق زوجها ، وقد اثار ارجاعه غضب (ست) فامر بتقطيع الجثة (١٤) جزءا وترمى باماكن متفرقة في البلاد .

ولم يضعف هذا العمل من همة هذه الزوجة المخلصة، فاخذت تحاول بكل عزم واصرار جمع هذه الاشلاء المتناثرة ، وقد قامت حرب بين ابن الملك (اوزريس) ويدعى (حورس) وبين عمه القاتل (ست) ، وقد اعلن هذا الاخير الندم في النهاية وطلب العفو والصفح من (ايزيس) ، ولم يتم الصلح الحقيقي بين الثلاثة الا على يد وتحت اشراف الاله الاكبر (فتاح) بجعل اوزريس اله العدل في الدار الاخرى وبتتويج الاله (حورس) ملكا لمصر و (ست) ملكا على النوبة .

ومن المعروف ان قصة الاله (اوزريس) يجري تمثيلها داخل المعابد القديمة بين الاناشيد الدينية والرقص الجماعي . ولكن كيف كان يتم عرض هذه المأساة وكيفية تمثيلها فهذا شيء لا يمكننا الجزم به ، ولكن هناك بعض الشواهد المعاصرة لهذه المأساة يمكننا ان نستفيد منها ، ولو بصورة تقريبية في القاء بعض الضوء على كيفية عرض مأساة (اوزريس) .

لان هذه الشواهد في الواقع تعطينا خلاصة حفل او طقس ديني كان يقام في كل مدينة مصرية ، وذلك مثل ما يطلقون عليه اسم (تمثيلية التتويج) وهي تتالف من (٤٦) منظرا ، وهي تقدم في موضوعها كيفية تتويج احد الملوك الفراعنة ، وهذا يعني ان المسرح المصري القديم لم يعالج شؤون الناس العاديين ، او بمعنى اخر انها لم تجعل من الانسان العادي مادة لموضوعها . كما نرى ان احداث المسرحية توصف وصفا تدريجيا وتجري الاحداث من مكان الى اخر ، وهذا يعني في النهاية فقدانها لما يسمى بوحدة المكان . كما اننا يمكن ان نقول بناء على ما في هذه الشواهد المسرحية ، او هذه الشذرات التمثيلية ان المسرحيات كانت تتفاوت بين المسرحية الايمائية الخالصة ، وبين المسرحية المركبة او المعارك الحربية المصطنعة التي نرى من خلالها ان المسرحية لا تزال متداخلة تداخلا كبيرا بالحياة الفعلية .

عزيزي القارىء

هذا ما امكننا كتابته عن المسرح الفرعوني القديم ، فان كان فيه بعض النقص او الغموض فهذا راجع الى قلة ما لدينا من مراجع ، فنرجو المعذرة .

وسنقدم في لقاء قادم ان شاء الله البداية الحقيقية للمسرح ، الا وهو المسرح اليوناني .

عبد الله عتيبي
بلال عبد الله

الجيل الجديد

عزيزي القارىء

يسر مجلة « البيان » ان تقدم في هذا الباب انتاج بعض الادباء من اجيالنا العربيــــة الصاعدة الذين يشقون طريقهم بالجهد والمثابرة .. والذين انهالت علينا رسائلهم بعد اعلاننا لفتح هذا الباب .

واننا اذ ننشر هذه الصفحات الطيبة من انتاج هذه البراعم المتفتحة نكرر ترحيبنا بهم ونؤكد ايماننا بالدور الكبير الذي سيلعبونه في الحيــاة الادبية في المستقبل القريب .

الرسـاله الاولى

من الاخ سعود عبد الله الشارخ ــ الكويت

جميل بن معمر (٨٢ هـ ــ ٧٠١ م)

لا يذكر الحب العذري الا ويتبادر الى الذهن جميل ابن معمر الذي حمل لواء هذا الحب ، وسمي هذا الحب بالعذري نسبة الى قبيلة بني عذره ، قبيلة شاعرنــا هذا ، وقد قيل لاعرابي : « ممن انـت ؟ » . فقال : « انا من قوم اذا احبوا ماتوا ! » . فقالـت جاريـة سمعته : « هذا عذري ورب الكعبة » .

ولقد احب جميل ابنة عمه بثينة بنت حيا بن خن بن ربيعه ، من عذره ، وكانا يقيمان في وادي القرى وهو موضع قريب من المدينة . ويروى عن بداية حبهما ان جميل اقبل يوما بابله حتى اوردها واديــا يقال لــه « بغيض » ، فتركه للعشب وجلس ناحية يمد بصره في هذا القطيع . فاتت بثينة مع جارة لها يملآن المـاء ، فعبثت بفصيل له فنفر ، فسابا ، فوقع سبابها مـن نفسه موقعا جميلا ، وهذا اخذ من قوله :

واول ما قــاد المــودة بيننــا
بــوادي بغيــض يا بثين سبــاب
فقلنــا لهــا قــولا فجاءت بمثلــه
لكــل كــلام يــا بثــين جــواب

علق قلب جميل بحب بثينة ، فوقف شعره عليها ، يذكرها بشعره تارة ، وتارة اخرى يكنى عنها اسـم اخر ، وتحدث بهما النـــاس داخل القبيلـــــة وخارجها ، حتى قيل : جميل وبثينـــة . فلمـــا جاء جميل الى والد بثينة خاطبا ، رده لانه ذكرهـــا في شعره وجعل الناس يتحدثون عنها ،وذلك عادة العرب، ثم زوجها اهلها لفتى من بني عذره . ولكن جميل لـم ينقطع عنها واخذ يزورها في بيت زوجها خفية . فشكى اهلها عليه مروان بن هشام الحضرمي الذي كان واليا قبل عبد الملك على تيمار فتوعده واهدر دمه ، وحجبها اهلها فلم يدعوها تظهر . فقال جميل في ذلك :

فــان يحجبوها او يحــل دون وصلهــا
مقالـــة واش او وعيـــد امــــير
فلن يحجبــوا عينــي عن دائــم البكــا
ولــن يملكوا مــا قــد يجــن ضمــيري
الــى الله اشكــو ما الاقــي من الهــوى
ومـــــن حرق تعتـــادني وزفــــير

وقبل خروج جميل الى الشام هاربا ، مضى ليلا الى بثينة ، وقد وجدها في غفلة من اهلها فقالت له : اهلكتني والله ، واهلكت نفسك ، ويحك اما تخاف .

فقال لها : هذا وجهي الى الشام انما جئتك مودعا .

فحادثها طويلا ، ثم ودعها وقال : يا بثينة ما ارانـــا نلتقي بعد هذا .

وبكيا طويلا ، ثم قال لها وهو يبكي :

الا لا ابالي جفوة الناس ما بدا
لنا فيك راي يا بثين جميل
وما لم تطيعي كاشحا او تبدلي
بنا بدلا او كان منك ذهول
واني وتكراري الزيارة نحوكم
بثين بذي هجر بثين يطول
وان صباباتي بكم لكثيرة
بثين ونسيانكم لقليل

سمع سيد من بني عذره شدة ولعه وحبه لبثينة ، وعدم نيله اياها ، فزين له سبع بنات رجاء ان يعلق بواحدة منهن فيزوجه بها ، لكن اذا جاء جميل ، يرفضن الخباء وينظرن اليه ، ففطن لذلك فانشد :

حلفت لكي تعلمي اني صادق
والصدق خير في الامور وانجح
لرؤية يوم واحد من بثينة
ورؤيتها عندي الذ واملح
من الدهر اذا خلوا بكن وانما
اعالج قلبا طامحا حين يطمح

فقال الرجل : « ارخين الخباء فوالله لن يفلح ابدا »

الا ان حياتهما لم تكن على وفاق دائما ، فلقدتخاصما مرة ، فيقول فيها :

ارى كل معشوقين غيري وغيرها
يلذان في الدنيا ويغتبطان
وامشي وتمشي في البلاد كاننا
اسيران للاعداء مرتهنان
اصلي فابكي في الصلاة لذكرها
لي الويل مما يكتب الملكان
ضمنت لها ان لا اهيم بغيرها
وقد وثقت مني بغير ضمان
الا يا عباد الله قوموا لتسمعوا
خصومة معشوقين يختصمان
وفي كل عام يستحدثان مرة
عتابا وهجرا ثم يصطلحان
يعيشان في الدنيا غريبين اينما
اقاما من الاعوام يلتقيان

ويسافر شاعرنا ويظل بعيدا عن بلده وعن بثينة ،الى ان عزل الحاكم ، فعاد الى بلده واقام فيها ، ولكن اهل بثينة كانوا قد اتجهوا الى الشام ، فيلحق بهم ، فيشكونه الى اهله فعنفه هؤلاء وانبوه عن تصرفاته ، فلم ير بدا من السفر الى مصر ، وكان وهو في مصر يرافقه هذا الطيف الجميل الذي احبه ، وترافقه كلمات هذا الطيف الذي عاش من اجله واوقف له ادبه وحياته :

الا ليت ريعان الشباب جديد
ودهرا تولى يا بثين يعود
فنبقى كما كنا نكون ، وانتم
قريب واذ ما تبذلين زهيد
وما انس م الاشياء لا انس قولها
وقد قربت نضوى : أمصر تريد ؟
ولا قولها : لولا العيون التي ترى
لزرتك ، فاعذريني فدتك جدود
خليلي ، وما القى من الوجد ظاهر
ودمعي بما اخفي الغداة ، شهيد

الى ان يصل في قوله :

الم تعلمي يا ام ذى الورع انني
اضاحك نكراكم ، وانت صلود

وفي مصر ، لم يلبث طويلا ، بعد ان لجا اليها ، فلقد احس بالوهن يدب في جسمه وبالمرض يفتك في ضلوعه، ولكنه لم يعد يقوى على الرجوع اليها لتوديعها الوداع الاخير ، فاوصى بعد ان يموت رجلا ان ياتي رهط بثينة وان يرتدي حلته وينشد لهم اخر ابياته .

فلما مات ، جاء الرجل وانشد قومها ، قول جميل :

صدع النعي وماكني بجميل
وثوى بمصر ثواء غير قفول
ولقد اجر الذيل في وادي القرى
نشوان بين مزارع ونخيل
قومي يا بثينة فاندبي بعويل
وابكي خليلك دون كل خليل

فلما سمعت بثينة ذلك ، خرت على الارض مغشيا عليها ، فلما استفاقت بكته بحرقة ، وبكت عهده ، وشبابه وحبه ، وعاهدت انها ستظل مخلصة له ، صادقة وسوف لن تنسى حبه .

ويموت جميل بن معمر استاذ الغزل البدوي العفيف، يكاد يموت هذا اللحن الذي تعالى من البادية .

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

الرسالة الثانية

وداعاً يا غادة

قصة بقلم : فاروق محمد عبد الفتاح خريشي

امتدت اصابعي الحمقاء الثائرة ، وراحت تمزق البرقية ، ثم سرت بخطواتي المتثاقلة حتى اقتربت من السرير ، والقيت بحمل جسدي عليه ، وعبثا احاول البكاء ، كثيرون هناك .. يبكون .. دونما احساس بالاسى واللوعة ، فما بالي ، لا ابكي ، لا اصرخ ، لا احطم هذا الباب الخشبي الموارب ، اني اعيشها ، مصيبتي الجديدة ، ويكاد احساسي بها ، يذيب وجودي

يخنقني .. يحيلني كتلة صماء دامية ، ولكن هناك .. في اغوار نفسي السحيقة .. كانت ثمة قطرات من الدموع .. تترسب شيئا فشيئا ، مكونة شبه مخلوق حي .. تمتد اصابعه ، الرهيبة .. تقبض قلبي .. وتكاد تنزعه من لفائفه ، وتنطلق من اعماقي كوامن ذكريات حاولت جهدي خنقها .. وانتظرت الايام .. لتسدل ستارا كثيفا من النسيان .. ولكن .. البرقية .. المكورة الراقدة في استسلام في ركن الغرفة ، تذكرني بما حدث .. وكأني بذاك الشريط السينمائي.. يعود فجأة ، من رحلته الغيبية ، ليعرض احداثه على شاشة ستارها اجفاني المغلقة .

كنا نعيش في قرية ، وكان الوقت مساء ، والشمس تنحدر غاربة وراء افق من الدماء ، وكان بيتنا المصنوع من اللبن ، يبدو كمقبرة قديمة ، هبط عليها الهدوء ، فاحتضنتها بعد ان شملها بردائه ، امي المشلولة .. جالسة على كرسي من القش ، واخواتي الصغار الاربعة ، جالسات كالحمائم الوديعة في شبه دائرة ، وانا الفتى المراهق ، واقف قبالتهن ، ارنو الى هاتيكَ العيون الحلوة الضاحكة ، والشفاه القرمزية المفترة دائما عن ابتسامة ، لله ما احلى الصغار حيث حياتهم لا تعدو ان تكون سلسلة من اللهو البريء والضحكَ .. غير عابئين بما يكون عليه الحاضر او بما سيكون عليه المستقبل ، وسألتني رجاء ، وكانت هي كبراهن في السادسة من عمرها ، — الن يأتي ابي ؟! واتجهت العيون صوب ابي .. وهو يطل بوجهه المعذب ، من فرجة الباب ، ويده اليمنى قابضة على الفأس الملطخ بالوحل ، ولكم كنت احب امي لعذابها الصامت ، وابي لكفاحه ، واشار ابي الي ان اقترب ، واقتربت منه ، وشعوري باللهفة والخوف سيصطرعان في داخلي ، واخذ يحدق في بعينيه ، ثم قال بصوته الخفيض : « شكري : هل حضرت دروسك يا ولدي » واجبته وعيناي متسمرتان على قدمه العارية المشققة « نعم يا ابي » ، ثم اتجه نحو امي وسألها : « هل تناولتم طعام العشاء » واتجهت اليه العيون الجائعة بندائها الصامت، ودون ان يتلقى ردا ، دلف الى المطبخ وعاد وبيده « صحن » قد استقر في داخله قرشان ، فاسلمني اياه ، وانطلقت الى مطعم القرية الوحيد لا الوي على شيء ، وعندما عدت ، والصحن في يدي ، مملؤ بالفول ، يحيط به سوار من اقراص الفلافل ، وقبل ان اقترب من البيت ، سمعت اصواتا ، واناسا تجري من هنا وهناك، تتساءل وهي تتجه الى .. يا الهي .. انها تتجه الى بيتنا ، ولم اشعر بشيء ، عدا ساقي وقد اسلمتهما للريح ، والصحن من ورائي ، منكفأ على التراب .. ودلفت البيت .. ورأيت .. جوا حزينا قاتما .. وابي منحن على جسد امي .. لا تسلوني ما الذي حدث .. فامي قد ماتت !!

ومرت ايام طويلة .. كئيبة .. اضطرتني للخروج من المدرسة ، وللبحث عن عمل .. فلما وجدته لمحت البشر تنطق بها العيون الحلوة الحزينة ، وكنت سعيدا به .. سعيدا .. بمسح .. وبكنس ما خلفه الرواد في السينما .. وبالدنانير الثلاثة اخر كل شهر !!

وجاء يوم ، يوم لا تغرب ملامحه عن خيالي ، عاد به رجل من الكويت ، وعندما ذهبنا نهنئه بسلامة الوصول ، اخذ يحدثنا عن عظمة الكويت ، وعظمة نفوس ابنائها ، ثم نظر الى الرجل طويلا قبل ان يقول: « شكري .. سآخذك معي » وعندما سألته : « اين ؟ » اجاب « الى الكويت طبعا » . فقلت له : « ولكنك تعرف ظروفنا ! » فاجاب « لا تدع هذا يقلقك .. سأتكفل انا بكل شيء » وعدت اقول « ولكن .. فقال وهو يبتسم : ولكن ماذا .. هل تريد ان تقنعني ان اجرك من عملك في السينما يكفيك انت وحدك . وصمت !! ورحلت الى الكويت .. واراني الرجل عملي الجديد ، وسرعان ما الفته ، وكنت ارسل لاهلي نصف معاشي ، وكنت سعيدا ، بالرغم من الثلاثة عشر دينارا المتخلفة معي وكان قلبي في صفاء قطعة البلور .. دائم الحب لله والتطلع لسمائه ، لا احمل ضغينة لاي انسان .. تمزقني كآبة اراها مرتسمة على وجه اي انسان ، مما جعل اصدقائي ممن يشاركونني سكني البيت ،يحبونني، وكانت هناك على السنتهم اسم فتاة ، لا يفتأ صداه يتردد كانوا دائمي التطلع لـ « غادة » التي تقطن في البيت المقابل لشقتنا ، وكانت غادة جميلة ، بوجهها الابيض المستدير كصفحة غدير صافي الاديم ، تلمع في صفحته عينان خضراوان ، ويحيط بغدير وجهها الصافي ، شعر مذهب ، تحترق ذوائبه ، في وهج الشمس ، فيبدو رائعا بلونه الاحمر اصفر ، وعندما بدأت احبها ، لم اكن اجرؤ على ان اقترب منها حتى في احلامي ، وكان هناك لقاء عابر بيننا ، وتكرر اللقاء ، وسمعتها ذات مرة تقول لي : « احبك انت .. انت يا شكري » وعندما سألت امرأة احد اصدقائي ، علام

تحبني ؟! فاجابتني المراة وهي تطالعني بصورة وجهي الغليظ القسمات ، الشديد السمرة ، الطافح بثــورا ، فصحت بكلام مسموع : « هذا لا يمكن — لا اصدق » ونظر الي الاخرون ، وفي اعينهم بريــق الــدهشــة ، فانزلقت في فراشي ، وانا اغض نظراتي عنهم ،وسمعت صوت غادة ، ياتيني من بعيد ، هاتفا بي : « شكـري .. احبك كما انت ، ومهما كنت .. لصفاء روحك .. ونقاء قلبك .. احبك .. وحبنا لا يؤمن بما سيقوم بيننا من سدود وعوائق » . اواه يا غادة ، يا ملاك ..!! انني اسرع الى البرقية المكورة ، فافضها فياتيني صوتك يا غادة ، ارق ما سمعت ، هل تبكين ، لم اقل لك انني راحل عنك بعد ..؟! انك تصيحين بي .. « ولكن حبنا يا شكري .. هل سيذهب كل شيء ، هل سيصبح هباء تذروه الرياح ، لا اصدق يا شكري ، لا اصدق » اواه يا غادة .. هل ظننت ان الفرد منا يملــك نفســه ، والسعادة موقوفة عليه .. لا يا غادة .. ليس الفرد منا يملك نفسه كما ان السعادة كالنحلة الهائمة تنتقل من زهرة لاخرى بعد ان تودع في كل منها شيئا من رحيقها .. واراني في حجرتي الخالية اتجه الى حقيبة السفر ، املأها بملابسي ، الان ، فقط ، الان ، بكيت .. نعم بكيت .. وكلمات البرقية تنساب الى اذني خائضة نهر الدموع « ابونا مات يا شكري .. يجب ان تعود .. اخواتك الصغيرات الوحيدات » .

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

الرسالة الثالثة

الفنون الانسانية

في حياتنا التي نعيشها فنون متعــددة الاشكــال والميزات الفنية الدقيقة ، وهناك امثلة على ذلك من الفنون الجميلة كالرسم ، فالرسم فن جميل وبديع يتذوقه اولا الفنان وثانيا الانسان ، على السواء ، والفن في حد ذاته ذوق رفيع يتلمســه كل فنان يعيش على هذه الارض الطيبة التي نستمد منها حياتنا ومعيشتنا ورزقنا ، والتي ولدنا عليها ، وبدانا ننظر الى الاشياء الطبيعية التي عليها مثل الماء والهواء النقي والشمس التي نستدفىء بهــا ونلتمس عندها الحرارة في فصــل الشتاء القــارس والمناظر الطبيعية المالوفة مثل الاشجار ، وهي تكبر في شهور وسنين والازهار الاخرى المورقــة الصفــراء والخضراء والحمراء بالوانها الباسقة الجميلة ، وعيون الماء الجارية تحت الارض ، والجبال العالية ، وكذلك القمم والاراضي الكبيرة الخضراء الواسعة هذه كلها اشياء يجب ان يفكر فيها كل انسان ويدقق بها كثيرا وجديا ، وجهة من المقال فيوجد في هذا العالم الواسع الكثير من ملايين البشر يميلون الى نوع واحد او طريقة واحدة من الفنون الجميلة ، مثالا على ذلك الخزف ، والخزف فن بديع ولا اشك في ذلك ، وله جمهور يحبــه ويعشقه ، وكذلك اناس اخرون يحبون الزخرفــة ، واخرون يحبون الرسم بالالوان الزيتية ، واناس يحبون فن النحت ، النحت على الصخور ، وجعل تماثيــل بديعة في الجمال ، بعد ذلك كله اقول ان لكل انســان نوع او طريقة من الفنون الانسانية الجميلة تستهويــه، فيوجد اناس لا يحبون فن التجريد وهذا امر في جانب ثالث ، والتجريد في حد ذاته فن جميل لا يفهمه الا الفنان الذي يرسم لوحة تخصه ، هو منظر طبيعي او اي شيء من مظاهر الحياة ، وفن اخر هو فن السير كليز ، او الرسم الدائري ، وهذه الطريقة قد اخذها الفنان خليفة القطان من ايطاليا ، بلد الفنون ، وبدأ يجربها في لوحاته التي يرسمها ، وهو فن لا يعرفه الا الفنان نفسه ، وبعد كل هذا اقول ان كل الفنون جميلة ومبدعة ، ولا فرق بين فن واخر وطريقة واخرى . ولكن الناس عندهــم اذواق ، وكذلك يوجد مذاهب فنية مثــل المذهــب الكلاسيكي والمذهب السريالي والطريقتيــن اللتيــن ذكرتهما سابقا التجريد والسيركليز ولكن يوجد طريقــة جديدة هي وضع الحبال على اية لوحة ، من الخشب ، وعمل منظر طبيعي من هذه الحبال ، او شيء اخر جميل يفيد الناس . او جسم فني بديع وهذا تعريف بسيط ، والفن عميق في تجربته الانسانية في سنيــن ومئــات السنين من يوم بدأ الانسان الاول يرسم في الكهف الذي كان يعيش فيه الى العصور القديمــة وفي العصــور الوسطى وحتى العصور الحديثة والان . والرســم وسائر الفنون هي القوة الفعالة التي تتقدم وتزدهر اي دولة عن طريقها ، طريقة الفنون . ودولة الكويــت لحرصها على مستقبل الفن في الكويت قد انشات المرسم الحر للفنون التشكيلية ، وهذا المرســم به نخبة مــن الفنانين الكويتيين الممتازين الذين ســوف يكون لهــم مستقبل في عالم الفن والفنون الجميلة ، وقد اعد هؤلاء الشباب معارض فنية في المدرسة المباركية واستحقوا الاعجاب والثناء من قبل الناس .

وبعد كل هذا اتمنى لفنانينا مستقبلا عظيما لخدمــة بلدهم العربي .

يوسف علي — الكويت

جولة في المجلات الأدبية


جاك بيرك

جاك بيرك والأدب العربي الحديث

في العدد الاخير من مجلة « المجلة » دراسة كتبت لمجموعة من الاعمال الادبية لادباء عرب نشرت في باريس سنة ١٩٦٤ ، بعنوان مختارات من الادب العربي المعاصر . في هذه الدراسة المعنوية « في الادب العربي المعاصر » يقوم المستشرق الفرنسي جاك بيرك بدراسة التيارات اللغوية والادبية العربية المعاصرة وتأثير كل من اللغة والادب في الاخر ماسحا الاقطار العربية كلها ابتداء من العراق حتى المحيط الاطلسي .. مبينا ان العربية كانت هي الوسيلة التاريخية الوحيدة للحفاظ على شخصية العربي وهي التي حمته من ان تنمحي شخصيته في داخل شخصيات عربية . لكنه يقول شيئا غريبا . ان « الاسلوب هو المستوى المتميز للمجتمعات العربية » بمعنى ان القيمة الجمالية للاعمال في التراكيب اللغوية والصور البيانية .. الخ هي التي كان يهتم الاديب العربي القديم بها ، فهو يقول « ومع ذلك فان الاسلوب ليس طريقة للتعبير فحسب بل هو كذلك وبخاصة عند العرب وجه من وجوه ادراك التراث وليس الهام الصديق الا مغامرة المكتشف هو الذي يكتشف وحده الاخرين كيما يتحرروا من غيرهم ايضا » وهو يضيف الى ذلك بانه وان كانت الاصالة ميزة اساسية في الانسان العربي ايا كان الا ان احساسه بالحاجة للتجديد ثم دخول القضايا الجديدة للادب العربي قد اوجد نوعا من التمزق فيه فبينما نجد اعمالا لا تهتم الا بالمضمون الاجتماعي غافلة الجانب الجمالي نجد اعمالا اخرى لا تحتفي الا بالجزالة والفخامة اللغوية بينما نجد ان مجددين كبار في العربية قد قاموا بدور خطير في تطوير اللغة العربية وادخال مفاهيم وقيم جديدة في الادب العربي ويخص جاك بيرك منهم بالذكر اثنين على وجه الخصوص هما طه حسين وتوفيق الحكيم ثم يضيف اليهما الجواهري العراقي .. فهو يقول مثلا عن الجواهري كنموذج لتطويع اللغة .

واقرب منه الى النفس ، يقصد اقرب من ابي القاسم الشابي ، الشاعر الجواهري وهو يصب قصيدة المحموم على رؤوس الجلادين والاغنياء والجائرين حتى ان اعماقنا تهتز عند سماع قصيدته (تنويمة الجياع) :

نامي جياع الشعب نامي
حرستك آلهة الطعام
نامي فان لم تشبعي
من يقظة فمن المنام
نامي على زبد الوعود
يداف في عسل الكلام
نامي تزفك عرائس الاحـ
ـلام في جنح الكلام

ويظل كذلك الامر المثير يتردد .. نامي .. نامي .. حتى لنحسه متوافقا في تفعيلة مع سخرية الشاعر الحانقة .

وهو لذلك يناقش في نفس الوقت قضية الالتزام والشكل والمضمون التي ما زالت تؤرق مضجعنا جميعا ... يقول عنها ، ولكن .. ما الشكل ؟ .. وما المضمون في نطاق العمل الفني ؟ سؤال صعب في كل مكان وزمان ، ولكن العرب يعقدونه بسؤال اخر اكثر صعوبة : وهو سؤال تثيره لغة انفصلت فيها ، بفعل عملية التحطيم الغربي ، القيم العاطفية والجمالية عن قيم الاداء ونقل المعاني فكانما فرض عليهم من النقاش والجدل ما فرض من قبل على السيرياليين حين رفضوا من اللغة قيمتها العملية وخواطرها العقلية واخذوا يبحثون — كما فعل رامبو — عن كيمياء جديدة ؛ ولكن الظروف العربية اشد ايلاما وتأثيرا .

ولكنه من جهة اخرى يتحدث عن هذا الانفصال السيء الذي حدث في اللغة العربية فيقول : «ان التطور اللغوي في السنوات الخمسين الاخيرة قد دعاهم ان يستردوا فصحاهم القديمة .. تلك اللغة الغنية بالاصداء الخالدة العريقة القادرة على حمل المعلومات الحديثة فانتشلوا تلك العربية الوسيطة التي يطلقون عليها كذلك : عربية الصحافة التي اصبحت شيئا فشيئا اداة الحياة الاجتماعية كلها » .

وهو لذلك يعجب ايما اعجاب بكتابات توفيق الحكيم .. ليس بسبب المضمون فقط وانما بالذات بسبب تلك اللغة السهلة البسيطة والرائعة في نفس الوقت التي يستخدمها او اذا شئت الرقة يولفها .

ميرامار ... اخيرا :

واذا ابتعدنا قليلا عن الحوار الذي تديره مجلة الكاتب خاصا بالثقافة المصرية ، نجد ان نجيب محفوظ اعظم روائيينا العرب قاطبة ، قد بدا في نشر روايته الجديدة « ميرامار » ومن الطريف ان نذكر ان الذي يقدم الرواية هذه المرة ليس الدكتور لويس عوض كما تعودنا دائما ، وانما احمد بهجت ، وربما كان ذلك ناتجا من ان لويس عوض ما زال في بيروت .. المهم ان احمد بهجت يقول : « .. ان الرواية الجديدة تبدا بكلمات تشبه قصيدة من الشعر العذب ، بيد ان هذه البداية لا ينبغي ان تخدعنا ، فليس زبد الموج الابيض هو لون الاعماق البعيدة من البحر .. وليست رواية نجيب محفوظ الجديدة عملا يتصل بالخيال او يحلق في غناء المعرفة سعيا وراء المطلق .. ان نجيب محفوظ يعود مرة اخرى الى الواقعية بعد سياحة ممتعة في دنيا البحث وراء الرموز » .

وميرامار هو اسم بنسيون في الاسكندرية تديره امراة يونانية عجوز يقع على الكورنيش في مواجهة البحر مباشرة وموضوع الرواية الجديدة يحدده بهجت كما يلي : « موضوع الرواية هو الواقع ، اربعة ابطال يجمعهم بنسيون واحد ، وتمر بهم امراة واحدة ، ويحتويهم اطار حدث واحد يحكيه كل واحد منهم بعد ذلك خلال رؤيته الخاصة وباسلوبه » .

وبطل الجزء الاول من القصة هو عامر وجدي رئيس تحرير احدى الصحف .. محال على المعاش .. اعزب ، آثر ان يقضي بقية حياته بعد انقضائها وسط المعارك السياسية المفتعلة غريبا في بنسيون مع عجوز غريبة عن ارضها . وتبدا الرواية هكذا : « الاسكندرية اخيرا .. الاسكندرية قطر الندى .. نفثة السحاب البيضاء .. مهبط الشعاع المغسول بماء السماء ، وقلب الذكريات المبللة بالشهد والدموع .. العمارة الضخمة الشاهقة تطالعك كوجه قديم يستقر في ذاكرتك فانت تعرفه ولكنه ينظر الى لا شيء لا مبالاة ، فلا يعرفك ، كلحت الجدران المقشرة من طول ما استكنت بها الرطوبة ، واطلت بجماع بنيانها على اللسان المغروس في البحر الابيض المتوسط ، يجلل جنباته النخيل واشجار البلح ثم يمتد حتى طرف قصي حيث تفرقع في المواسم بنادق الصيد والهواء المنعش القوى يكاد يقوض قلنتي النحيلة المقوسة ولا مقاومة جدية كالايام الخالية .

ماريانا ، يا عزيزتي ، ارجو ان تكوني بمعقلك التاريخي كالظن والمأمول والا فعلي وعلى دنياي السلام ، لم يبق الا القليل والدنيا تتنكر في صورة غريبة للعين الكليلة المظللة بحاجب ابيض متجرد من الشعر .

ها انا ارجع اليك اخيرا يا اسكندرية ... »

ثم يبدا بعد ذلك في احداث الرواية بين حدث حاضر يرتبط في ذاكرة الراوي بحادث مضى وهكذا يجتر عامر وجدى ماضيه مع ماريانا حتى يجيء زبون جديد هو كلبشه بك رزق ليقيم في البنسيون هو الاخر .. هو الاخر له ماضيه في البنسيون وفي السياسة تماما كعامر وان كان يقف من عامر في الاتجاه الاخر .. وكيل وزارة سابق .. هاجمه عامر كثيرا هو وحزبه .. اكتشاف الغباء :

اكتشاف الغباء

وفي مجلة الطليعة يواصل جان بول سارتر دراسته عن « الوعي الطبقي عند فلوبير » وفي هذا الجزء يبرز سارتر ايضا مدى التناقض بين واقع فلوبير وتفكيره الفني في هذا الواقع .. ويبين سارتر تطبيقيا هذا التناقض من انتساب فلوبير للبرجوازية ثم كراهيته العميقة للراسم والقيم البرجوازية .. ففي الزيارات العائلية والاحتفالات السنوية خاصة عيد راس السنة يكتشف فلوبير مدى غباء المراسم التي يتتبعها الناس من حوله .. بل وكيف يشارك الاطفال ايضا في هذه المراسم الغبية ، يقول سارتر « وتشكل في ذات الوقت

تلك الايماءات والعواطف الملقنة طقوس الاندماج اذ يشعر الطفل بقدرته في عيد اول يناير على المشاركة



سارتر

بحق في الحفل ، اذا ما اتبع العادات في جد ولا يستطيع ذلك الطفل ان يقرر اذا كان اكتشافه لغباوة المراسم جاء نتيجة نظرته للامور او انه قد وجد باكتشافها .. فلم يكن جوستاف على اية حال ، ولم يتعد التاسعة من عمره ، الساذج او ميكرو ميجاس (قصتان من تأليف فولتير) فهو يؤدي مع عائلته واجبات الزيارة بمناسبة راس السنة ونراه يكتب رسالته الاولى الى ايرنست في ٣١ ديسمبر كما وانه ارسل في العشية خطابا الى جده املى عليه يقول فيه (اسارع بتأدية الواجبات نحوك متمنيا لك سنة سعيدة) .

وهناك ما هو اهم من ذلك اذ يخضع طواعية وتلقائيا لسخف تلك العادة وقد فضحها في نفس الرسالة حيث يقول لصديقه : « ارجو لك سنة سعيدة واقبل من الاطماق عائلتك الكريمة » .

هل نفهم من ذلك ان تمنيات السنة الجديدة تكون ذات مضمون اذا كانت موجهة الى الاصدقاء الحميمين . لا شك عندنا ان الطفل لا يقدر ذلك غير متيقن من سلوكه المتناقض وقد تسلطت العادات عليه فليس بوسع احد الا اذا كان شابا متمردا النظر من الخارج في نزاهة الى تلك العادة او الاخرى مع رفض الاذعان لها . ويتردد جوستاف مستشفا ما لتلك العادات من غرابة وهي عاداته لعدم مشاركته اهدافها الجمعية مشاركة تامة .

يجب أن نوقظ الله

ارمان سالكروا وجه نفر من وجوه المسرح الفرنسي المعاصر مثلت له مسرحيات « محطم الاطباق » (فصل واحد) ، و « فندق اطلس » و « امراة متحررة » و « مجهولة آراس » و « على سبيل الضحك » و « ليالي الغضب » و « الله يعلم » ، يقول الناقد الانكليزي هارولد هوبسون انه بهذه المسرحيات اصبح قائد المسرح الفرنسي المعاصر ، وندا من انداد راسين على نهر السين وشكسبير على نهر التيمز .. هذا الرجل يقلقه كلمة قالها سارتر في عنف : (ان نعبر بحر الحياة المتلاطم في سفينة ليس عليها ربان) .

لكن القضية بالنسبة لسالكروا تختلف عنها بالنسبة لسارتر فمثل هذه النصيحة لا تكلف سارتر شيئا ما دام يستطيع ان يؤمن بامكانية الانسان على بلوغ الكمال ، ولكن سالكروا لا يستطيع ان يؤمن بالكمال الانساني ما لم يجيء على غرار الكمال الالهي وبوحي من الهامه فاذا اضفنا الى ذلك ارتيابه فيما اذا كان هذا الاله موجودا ادركنا على الفور مدى شقاء الرحلة ومأساة الطريق .

يتضح عدم يقين سالكروا كما يبين جلال العشري في



سالكروا

مجلة الفكر المعاصر في مسرحيته الاولى المسماة « محطم الاطباق » ففي نهاية المسرحية يتناقش بطل المسرحية الذي يدخل كواليس المسرح مع المهرج الذي يقوم بدور محطم الاطباق هذا الحديث : —

الشاب : هل تلهو بالاطباق كما يلهو الله بالعالم وبقية الاكوان ؟

محطم الاطباق : واحطم الاطباق ، تماما كما يحطمك الله .

الشاب : ولماذا تحطمني

محطم الاطباق : تلك هي مهنتي !

الشاب : مهنتك ان تحطم ، الا فاغرب عن وجهي ، لم اعد اطيق شيئا فيه تحطيم ، اريد لا اريد الا صالحا خيرا ، والا فلا داعي لاله على الاطلاق .

ويلتهب الحديث بينهما ويصل الى درجة الغليان ويتدخل عسكري المطافىء المكلف بحراسة المسرح ليفض ما بينهما من شجار .

عسكري المطافىء : هل هذا صحيح ، اذن فالذي لم نشبع من قراءته والذي لم يقله بشر ولم يتحدث عنه انسان هو ان الله بعد ان خلق العالم ذهب لينام .. ان الله نائم .. ان الله نائم ..) . كان لا بد من اله يخلق العالم ثم يذهب لينام حتى يستيقظ الشر .. هل سمعت ؟ ان الله نائم .

وهنا يلتفت الشاب الى جميع الموجودين وهو يصيح .

الشاب : يجب ان نوقظ الله .

إصدارات

● سيصدر الكتاب الثاني للزميل الاستاذ خالد سعود الزيد وهو بعنوان (ادباء الكويت في قرنين) ، وسبق للاستاذ خالد ان قدم للقارىء العربي كتابه الاول (مختارات من الامثال العامية في الكويت) . والكتاب الجديد يقع في ٥٠٠ صفحة حيث يتناول حياة الادباء الكويتيين واعمالهم الادبية ، مع تقديم كل ما هو خاف من مقالات ادبية رائعة وقصائد وبحوث يجهلها القارىء العربي ، لادباء من الكويت اصبحوا في طي النسيان .

● تستعد الشاعرة الكبيرة فدوى طوقان هذه الايام لنشر ديوانها الجديد الذي اخذ طريقه للمطبعة وهو بعنوان (امام الباب المغلق) ، وفدوى طوقان — كما هو معروف — من اكبر شعرائنا المعاصرين .. وهي صاحبة مجموعة كبيرة من الدواوين الشعرية .

● الزميل الاستاذ راضي صدوق ، صدر له ديوان شعر جديد بعنوان (النار والطين) .. تهانينا للزميل راضي ، ومزيدا من الانتاج في عالم الادب .

● صدر في الاسواق ديوان جديد للشاعر اللبناني امين نخله وهو بعنوان (ليالي الرقمتين) .

● طلع علينا الكاتب القصصي يوسف شرور بكتاب جديد بعنوان (زورق من دم) .. والكتاب عبارة عن مجموعة قصصية .. وقد صدر عن دار الادب البيروتية ..

● صدرت حديثا رواية (الطريق الاخر) ، بقلم سعيد فريحه ، وتعتبر الرواية اسلوبا جديدا وخطوة جريئة بالنسبة للرواية العربية الحديثة .

● تستعد دار الادب البيروتية هذه الايام لطبع مذكرات الزعيم الجزائري السابق احمد بن بيلا ، وذلك بعد ان قام بترجمتها العفيف الاخضر عن اللغة الفرنسية ، ويتناول الزعيم الجزائري السابق في هذا الكتاب قصة نضاله من اجل استقلال الجزائر وعروبتها ، حتى ما قبل اعتقاله بثلاثة ايام .

ولاول مرة سيطلع القارىء العربي على نفسية الزعيم السابق من خلال مذكراته والاطلاع على احداث حياته .

● يعكف عبد اللطيف شراره على ترجمة كتب الجنرال ديغول الثلاثة : (النفير ، الوحدة ، الخلاص) ، بعد ان تلقت دار النشر التي ستقوم بطبع الكتب المذكورة موافقة الرئيس الفرنسي شارل ديغول ، لنشر الترجمة العربية لمؤلفاته شرط ان يطلع على هذه الترجمة قبل طبعها .

● صدر عن مكتبة خياط في بيروت الترجمة الانكليزية ، لرواية عميد المسرح العربي الاستاذ توفيق الحكيم (عصفور من الشرق) .

● في سلسلة الجوائز العالمية اصدرت الدار القومية حديثا كتابا تحت عنوان مؤسسة نوبل : ماهيتها ، نظامها . والكتاب من اعداد لجنة الجوائز العالمية . تناول الكتاب حياة الفريد نوبل ، مؤسس الجائزة المعروفة باسمه ، وجهوده في سبيل السلام ثم معلومات عن مؤسسة نوبل مع نص التعليمات والقوانين الخاصة بالجوائز التي تمنحها المؤسسة كل عام في خمس مجالات .

● ديوان جديد بعنوان (جناح النور) للشاعر راجي عشقوني صدر في بيروت مؤخرا وقد وضع المؤلف على مدخل الكتاب عبارة للاصفهاني نصها : « لا يكتب انسان كتابا في يومه ، الا قال في غده : لو غير هذا لكان احسن » .

● صدر في باريس في سلسلة كتاب مفتوح ، عدة كتب منها : كتاب مفتوح الى الله بقلم روبير اسكاربيت وكتاب مفتوح الى سلفادور دالي بقلم سلفادور دالي ، وكتاب مفتوح الى الزعران بقلم البير سيمنون .

● ستبدأ قريبا المحاكمة الادبية السياسية الانسانية الكبرى لرئيس الولايات المتحدة الاميركية والتي دعا اليها المفكر الانكليزي الكبير برتراند رسل ، حيث يحضرها جمهرة من المثقفين العالميين ، ومن المحتمل ان يعرض افراد المحاكمة وجمهورها الى ازمة دبلوماسية حادة مع حكومة الولايات المتحدة الاميركية ، كرد فعل للمحاكمة التاريخية التي يعقدونها في باريس في مطلع هذا الشهر ، حيث سيحاكم فيها الرئيس جونسون ووزير الدفاع الاميركي مكنمارا وجماعة من وزرائه وقادته العسكريين ، على جرائم الابادة الجماعية في فيتنام.

ومن جهة اخرى ، نوهت بعض المصادر الاميركية في باريس ان الرئيس الاميركي سيوكل عنه بعض المحامين ليدافعوا عنه امام المحكمة ، في حين قالت مصادر اخرى ان الحكومة الاميركية ستكتفي بارسال مندوبين عنها لمراقبة سير المحاكمة وقراراتها .

● فجع الشعر العراقي بوفاة رائد من رواد الشعر المبدعين ، ذلك هو الشاعر العراقي الكبير محمد هادي الدفتر ، صاحب ديوان — روحي المصايف — الصادر سنة ١٩٤٥ .. حيث مات في الكويت ، تغمده الله بواسع رحمته والهم اهله الصبر والسلوان .

● في مقابلة اجريت مع الاستاذ توفيق الحكيم عميد المسرح العربي في الاسكندرية مؤخرا قال : « ان المسرواية كانت محاولة للمزج بين الرواية والمسرحية ، لقد جعلتهما يمتزجان في لقاء واحد ، واخيرا .. اقول اخيرا لانني قد صممت ان لا اكتب بعد الان لا الرواية ولا المسرحية .. ذلك كان قراري الاخير .وسأتفرغ بدلا من ذلك لكتابة تأملاتي في الحياة وذكريات رحلاتي التي قمت بها وبعضا من فصول حياتي وهذا شيء يخصني شخصيا ولا يستطيع ان يقوم به سواي .

الرواية اتركها في رعاية نجيب محفوظ — كولومبس الرواية العربية — الذي بلغ بها القمة في قصصه الطويلة والقصيرة على السواء ، وهو بدون شك سيقودها الى بر الامان .

اما كتابة المسرح سأتركها ايضا وانا مطمئن الى ان جيلا جديدا قد ظهر في سعد الدين وهبه ، الفريد فرج ، يوسف ادريس ، لطفي الخولي رشاد رشدي ، نعمان عاشور ، وميخائيل رومان ، وهم كتاب المسرح القومي الى جانب كثير من المواهب الناشئة التي تبرز في (مسرح الحكيم) ولا شك في ان الرواية والمسرحية في ازدهار ، وانا اؤكد انها ليست فورة طارئة لان هناك كتابا موجودين فعلا يكتبون للمسرح .. لقد انتهت ايام الريحاني يوم كانوا يقتبسون المسرحيات ويمصرونها .. اما اليوم فيختلف ازاء اهتمام الادباء وتفرغهم للكتابة للمسرح .

● اصدرت دار النشر (اياستان) في ارمينيا مجموعة من الاشعار اليابانية ، وقد قام بترجمتها الى اللغة الارمنية نايري زاريان ، وقد ابرز زاريان في مقدمته لها التقاليد الشعرية الغنية جدا لهذه البلاد تحت عنوان (باقة يابانية) وجمع مقتطفات من اشعار اربعين شاعرا ، وتضم المجموعة ترجمات لاعمال شعرية غنائية واشعار مختارة من التقاويم القديمة وكذلك من القرون الوسطى والقرن التاسع عشر ، ولشعراء معاصرين ، كما ترجمت ٥٠٠ حكمة ومثل يابانية الى اللغة الارمنية .

● « الفجر الكاذب » مجموعة قصص مغربية لاحمد عبد السلام البقالي ، صدر في منشورات دار الكشاف ، وقدم له المؤلف بنفسه وجاء في المقدمة قوله : (الصفحة التي لا تعطي فائدة ولا لذة ، الاحسن ان تبقى بيضاء) .

● تستعد الاوساط الادبية والفكرية في بيروت ، ابتداء من هذا الشهر لانتاجات ادبية واسعة ، حيث تزدهر الحياة الادبية ، وذلك بانعقاد مؤتمر الادباء العرب ومؤتمر كتاب اسيا وافريقيا .

● « ادباء من الشرق » بقلم عيسى الناعوري — ١٦٥ صفحة من الحجم الصغير ، انه كتاب من الادب المقارن يبحث في موقف الاداب العربية من الاداب الغربية فيقدم نماذج مزدوجة ويبحث في وجه التشابه بعين ، هكذا نراه يقارن بين ابي القاسم الشابي ووليم وردسورث في ادبهما المتعلق بالطبيعة والطفولة والامومة في الشعر . ثم يقارن بين جبران خليل جبران وفريدريك نيتشه من حيث حكمة الحياة .

علي محمود طه يقارنه للرومانيين الغربيين من حيث المشاهد المائية في شعره .

فؤاد سليمان وروبرت فروشت يقارن المؤلف بينهما من حيث الحنان الى القرية والطبيعة .

في ادب الجنس يضع احسان عبد القدوس ، مقابل البرتو مورافيا، ويقابل المصري في رسالة الغفران بالكوميديا الالهية لدانتي .

جورج برنارد شو كتب « بجماليون » ، وتوفيق الحكيم كتب « بجماليون » ايضا، فيقارن الناعوري بينهما ويوفق . ويأتي الى باب الفجور والروحانية فيقارن بودلير بالياس ابي شبكه .

واخيرا ينتهي في باب النقمة والقنوط مقارنا بدر شاكر السياب بـ ق.س. ايليوت .

● « المنتماء » او « تاريخ حسن مفتاح » ، رواية طويلة ٤٤١ صفحة بقلم الناقد الدكتور لويس عوض ، انها في الواقع رواية ترقى الى عشرين عاما خلت لم ينشرها المؤلف الا اليوم لاسباب قد تتعلق لكونه ناقد من الدرجة الاولى . مدار حبكه الموضوع

هو العنف .

منذ اقدم العصور يتخذ موضوع العنف اشكالا متنوعة في حياة الانسان وهذه الرواية الهام من صاحبها في الدفاع عن الانسان ضد هذا الوباء . الايمان بمقدرة الانسان على حل قضاياه حلا سليما بارزة وجلية في فكرة الرواية التي سبغت باسلوب سهل ممتع .

● « **الجلد الضيق » بقلم اندريه شديد ، مجموعة قصص وضعتها بالفرنسية الاديبة اللبنانية اندريه شديد ، ونقلها الى العربية نعيم بو طانيوس وقدم لها رواد طربية . عشر اقاصيص تتناول صميم حياة المجتمع اللبناني ، وهي رغم دورانها فيما جلد كل منا الضيق ، تتجاوز الحياة اليومية المحدودة الى منطلقات بعيدة تجعل من هذه الاقاصيص متعة تعادل نزهة حميمة في الذات وفي الكون .**

● « الملكة الميتة » بقلم هنري دومنترلان ، تمثيلية في ثلاثة فصول نقلها من الفرنسية الدكتور رفيق الصبان وهي رواية تتناول مأساة اسبانية ، وستمثل هذا العام في باريس بالفرنسية طبعا .

أنباء الرابطة الأدبية

* **اقامت الجالية الهندية في الكويت حفلة بمناسبة مرور ٩٧ عاما على ميلاد زعيم الهند العظيم غاندي ، وقد دعيت الرابطة للمساهمة في هذا الحفل والقى الشاعر عبدالله سنان قصيدة بهذه المناسبة .**

* اهدت السفارة الهندية في الكويت بعض الكتب لرابطة الادباء الكويتيين ، وقد تقبلت الرابطة هذه الهدية بالشكر .

* **اهدى حضرة صاحب السمو الامير الجليل الشيخ علي بن ثاني مجموعة قيمة من الكتب الادبية لرابطة الادباء ، وقد وصلت هذه الكتب ، والرابطة تشكر صاحب السمو على هذه الهدية الغالية .**

* اقامت الرابطة حفلة شاي على شرف السيد الاديب عبدالله حسين ، سفير دولة الكويت في المغرب ، وحضر هذه الحفلة عدد كبير من اعضاء الرابطة ، ومحبي الادب في الكويت ومن بينهم الشاعر المصري الاستاذ اسماعيل الصيفي ، وبعض الادباء العرب .

انباء مسرحية

★ يقدم مسرح الحكيم في موسمه الجديد مسرحية « اصل الحكاية » تاليف بكر الشرقاوي .

.. بكر الشرقاوي سبق ان تدم هذه المسرحية لمسرح الحكيم بعنوان « سفر التكوين » وكانت حسب النص الاصلي تستغرق سبع ساعات متواصلة لكنه اضطر لاختصارها وتغيير الاسم ايضا وقد نشرتها مجلة المسرح في عددها الاخير حسب النص المختصر وهذه هي المرة الاولى التي تنشر فيها المجلة نصا عربيا .

★ **تبدا سلسلة المسرح العالمي التي تصدرها الدار القومية باصدار مجموعة من الدراسات في المسرح منها « مسرح العبث » للدكتورة نور الشريف و« المسرح الشعري » لشفيق مقار و« المسرح الفرعوني » للدكتورة فايزه هيكل و« تاريخ المسرح اليوناني والروماني » لمرجريت بير ترجمة امين سلامه .**

★ من المقرر ان يفتتح المسرح القومي موسمه الجديد بمسرحية « عسكر وحرامية » من تاليف الفريد فرج . .من المعروف ان فرقة محافظة دمياط المسرحية سبق ان قدمتها وهو تقليد جديد حتى تنكسر حدة احتكار القاهرة للنشاط المسرحي حسب قرار المؤلف نفسه .

★ **تنشر سلسلة مسرحيات عالمية في عددها القادم مسرحيتي « في انتظار اليسار » و« استيقظوا وترنموا ! » للكاتب الاميركي كليفورد .**

★ اصدر سعد الدين وهبه في سلسلة الكتاب الذهبي مجموعة بعنوان « نادي النفوس العارية » عبارة عن مونولوجات لمجموعة من الناس المدعين والانتهازيين .. من الواضح انه اصدر الكتاب لاحتياجه فعلا لقرشين كما يقرر هو بنفسه في مقدمة الكتاب .. الكتاب في منتهى التفاهة .

بريد البيان

اعداد : بلال عبدالله

عزيزي القارىء : حرصت « مجلة البيان » منذ صدورها الاول، ان تقدم كل جديد فيها ، فاكتب برايك حول موضوعات المجلة ،وعلق وانقد اي موضوع شئت فيها ، فسيكون رايك موضع رعاية واهتمام من قبل هيئة التحرير . والبيان تود من هذا ان تكون الصلة بينها وبين القارىء اكثر ايجابية .

رسائل هذا العدد يغلب عليها طابع التنوع ، كما ان ثقة القارىء بنا من خلال ما يكتبه لنا من رسائل نقد واستفسار واستحسان ، تحملنا المسؤولية اكثر ، فنرجو ان نكون عند حسن ظن الجميع .

اول رسالة في بريدنا : من الاخ صالح محمد عبد الله ــ الخالدية :

يقول الاخ في رسالته . رئيس تحرير مجلة البيان ، تحية طيبة وبعد ، انني من الذين يتابعون مجلة البيان منذ صدورها الاول ، اشكر جهود اخواني العاملين بالرابطة ، ارجو لهم مزيدا من التقدم . ويقول في سؤاله قرات في مجلة كويتيةقديمة ــ بالصدفة ــ اسم فنان كويتي هو « معجب الدوسري » ، ومع ان هذه المجلة مدحت هذا الفنان ، الا انني لم اعرف عنه الا الشيء القليل والقليل جدا ، فسالت عن هذاالفنان بعض اخواني ، فوجدت نفس الجواب امامي ، فرايت ان افضل طريقة ان اكتب لمجلتكم الغراء ، آملا ان لا تبخل علي بالرد عن هذا الفنان . وفي الختام ارجو ان يكون هذا السؤال فاتحة اسئلة كثيرة بيننا في المستقبل . وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .. اخوكم .. صالح محمد العبد الله ــ الخالدية .

ان هيئة التحرير تشكرك يا اخ صالح على التقدير والثناء الذي افتتحت به رسالتك ، وهذا هو املنا فيك وفي كل مواطن ، هذا ،وبالنسبة لسؤالك فقد توجهت للمتحف الكويتي وسالت عن هذا الفنان ،فسجلت لك هذه المعلومات التي آمل ان توفي بطلبك :

الفنان الكويتي المرحوم **معجب عبد الله الدوسري** .

١٣٤٠ ــ ١٣٧٦ هـ

١٩٢١ ــ ١٩٥٦ م

ولادته : ولد في الكويت عام ١٣٤٠هـ ــ ١٩٢١ م ، وقضى شطرا من طفولته في كنف عمه المرحوم (سعد محمد الدوسري) في لواء البصرة بالعراق ، حيث تلقى تعليمه الابتدائي ، وتجلت لديه موهبة في فن الرسم ، فشجعه عمه على المضي فيها .

نشاته الثقافية : عاد مع العائلة الى الكويت بعد وفاة عمه ، وعاش في رعاية خاله (عبد القادر عبد الرزاق الدوسري) حيث ادخله مدرسة حماده ، وانتقل منها الى المدرسة المباركية (اول مدرسة اسستها دائرة المعارف انذاك) وهنا اظهر تفوقا في فن الرسم ، وذلك في بعض اللوحات التي تمثل المناظر الطبيعيةعلى شواطىءالخليج الساحر ، علما بان فن الرسم لم يكن معروفا ومنتشرا ، بقدر ما هو عليه الان كما تعلم .

شهرة الفنان : وقد ابدع في رسم لوحة زيتية تمثل (الملك عبد العزيز ابن سعود) وقدمت لجلالته بمناسبة زيارته الكويت ، فنالت اعجابا وتقديرا .

تخصصه في مصر ولندن : وفيعام ١٩٤٥ خصته المعارف ببعثة فنية الى القاهرة حيث التحقبمعهد الفنون الصناعي ــ قسم الرسم والزخرفة، ونال الدبلوم عام ١٩٥٠ ، ليعود لوطنه مدرسا في المدرسة المباركية الثانوية ، عاملا على نشر الثقافة وبث الوعي الفني بين ابناء بلده، وكان ذلك بينعامي ١٩٥٠ و ١٩٥٢، سافر بعدها في بعثة الى لندن ، استغرقت عاما كاملا قضاها في دراسة الفن قديما وحديثا ، وقد زار متاحف اوروبا ومعالمها الاثرية .

عودته ووفاته :

عاد الفنان معجب عام ١٩٥٤ ، وكله امل في ان ينهض بالفن معطلابه، فكان مدرسا لفني الرسم والزخرفة، في ثانوية الشويخ ، شعر خلال عمله بمرض الم به . وانتقل الى رحمته تعالى بتاريخ ١ ــ ٨ ــ ٩٥٦

وقد اوحت الحالة التي المت بهذا الفنان ، للشاعر عبد الله سنان في كتابة قصيدة انذاك وعنوانها

« الزهرة الذابلة » على لسان الفنان نفسه :

حدا بي الزمان فجزت الشباب
وابلى السقام رقيق الاهاب
وما كنت اعلم غدر الزمان
فاوقعني بين ظفر وناب
انا اليافع استوقفتني الخطوب
لاغنم من همتي بالاياب

في نهاية الحديث نأمل ان تذهب بنفسك الى متحف الكويت لترى بعض الصور من ريشة هذا الفنان .

الرسالة الثانية من الحاج علي احمد عبد السلام ــ قوة الطوارىء :

مجلة البيان تشكر ثقتك فيها ، قصائدك الثلاث احيلت الى باب الجيل الجديد ، لابداء الراي فيها وفي حالة صلاحيتها للنشر ، ستنشر في الاعداد القادمة باذن الله .

كذلك الاخ عبد الرزاق سالم الفرحان ــ المرقاب :

المجلة تشكرك جزيل الشكر ، وقصيدتك ايضا احيلت الى باب مع الجيل الجديد ، لابداء الراي ، وستنشر في الاعداد القادمة في حالة صلاحيتها .

الرسالة الثالثة من الاخ جاسم المسعد ــ شرق : ــ

يقول الاخ جاسم في رسالته :تحية طيبة وبعد : يطيب لي في هذه اللحظات ان اسجل اعجابي الشديد تجاه مجلتكم الغراء « البيان » وهي آخذة بالتطور والارتقاء بفضل الجهود الطيبة التي تقف وراء كل عمل يتقدم ، واقولها صريحة :ارفعوا شان هذا الادب في الكويت ، وكونوا حماته دوما ، راجيا لكم استمرار التقدم والتوفيق ، والله يوفقكم .

يا اخ جاسم : ان اسرة تحرير مجلة البيان تحي فيك هذه الروح الطيبة التي يتمتع بها شباب هذا الجيل ، وكما قلنا سابقا ، ان مجلة البيان منكم واليكم ، ويسر المجلة في هذه المناسبة ان ترحب بكل انتاج سواء كان موضوعات علمية ، وابحاث او في اي موضوع يشاء المرسل ، وهذه دعوة عامة لكل من لديه استعداد للكتابة ويجد في نفسه كفاءة ومقدرة ، ونود ان نؤكد بانه سيلقى دوما الرعاية والاهتمام اللازم .

الاخ يوسف حسن المناعي :

نشكرك ، على مقدمة رسالتك الرقيقة وعلى اختيارك للالفاظ الجميلة ، وهذا املنا فيكم يا اخي .

من طرف قصيدتك ، احيلت الى باب الجيل الجديد،لابداء الراي فيها، وكما قلنا سابقا ستنشر اذا وجدت صالحة .

الاخ الياس اسمر ــ الكويت :

قصائدك ستعرض على هيئة التحرير ؛ ليس من شان المجلة ان ترد ما يرسل اليها من مقالات وابحاث .

الاخ محمد علي محمد ــ الكويت :

بعث الينا الاخ محمد علي رسالة يقول فيها : حضرة رئيس تحرير مجلة البيان المحترم ... تحية طيبة وبعد .. ابعث لكم بشكري واعجابي العميقين ، متمنيا لكم ولهيئة التحرير كل التوفيق .. لقد صدرت مجلة البيان ، وكنت اول من يلتقطها ، ولكن الظروف لم تساعدني للحصول على عددين من مجلتي الحبيبة ،وهما العدد الثالث والرابع ، لهذا ارجو التكرم بان تبعثوا بهما الى ، لتكمل اعداد تلك المجلة النفيسة لدى ، ودمتم ..

نشكرك يا اخ محمد علي شعورك الطيب ، هذا وقد ارسلنا لك العددين الثالث والرابع في البريد املين ان تكون الان قد استلمت هذين العددين .

الرسالة الاخيرة ، من الاخت فاطمه خالد ــ القادسية :

بعثت الينا الاخت فاطمة خالد برسالة تقول في مطلعها :

مجلة البيان الغراء ، تحية وبعد: واجبي ان اقدم شكري للمجلة على ما تقوم به من جهد في سبيل ادبنا العربي بالكويت . لي ملاحظة بسيطة ، هي من خلال اطلاعي على اعداد البيان الماضية ، وجدت قلة الموضوعات التي تكتب بواسطة فتيات هذا الجيل ، فكان في ذهني نقطتان لا ثالث لهما ، اما تقصير من المجلة بهذا الشأن او عدم اهتمام من ناحية الفتيات تجاه الادب ، فرايت ان اسمع تعليقكم حول هذا الموضوع مع الشكر .. المخلصة ..

فاطمة

يا اخت فاطمة :مجلة البيان تشكر لك هذه الروح العالية التي تبدينها ، والاهتمام الزائد بالادب ، وهذا ما نرجو ان تكون عليه ايضا فتيات هذا الجيل .

واود ان اقول للاخت فاطمة ان البيان تؤمن ان المراة لا تقل في هذه المهمة عن الرجل ، وهذه حقيقة ليست محتاجة الى شرح اكثر ،ومن ناحية قولك هل هذا اهمال من المجلة ، فاحب ان اوضح لك نقطة هي ان المجلة كما ذكرنا سابقا ونقولها دائما ترحب بكل ما يكتب لنا في اي موضوع يشاء القارىء ، واضيف نقطة اخرى وهي ان كل مقال يلاقي مكانه في المجلة سواء كان حكاية او قصة او شعر ، تحليل او دراسة او بحث ، كما اننا فتحنا منذ العدد الماضي باب « الجيل الجديد » الذي يحاول القاء الضوء على انتاج شباب هذا الجيل ، وتزويدهم بالنصائح والارشادات فانت ترين يا اختي ، ان المجلة فتحت كل مجال لشبابنا ، فالتقصير اذن ليس منا .. وانت دورك فعال في هذا المجال ، فحاولي بطريقتك الخاصة ، ان تشجعي كل موهبة واستعداد ان تكتب لنا وان شاء الله ستجد الباب الذي يهتم بما تكتبه .

وفي الختام يا اخت فاطمة ، لا تكسلي في الكتابة لنا في اي موضوع مستقبلا .. ومجلة البيان تفتح صدرها للجميع .. وشكرا .